رونين شتاينكه

# مسلم ويهودية

قصة إنقاذ طبيب مصري لآنا من النازيين

ترجمة

سكينة صالح & محمود مهران








أهم جروبات علي تليجرام
باحثون
هنا سور الأزبكية
غواص في بحر الكتب
قناة مصر الثقافية و الفنية

## كلمه مهمة:

هذا العمل هو بمثابة خدمة حصرية للمكفوفين، من منطلق حرص الجميع على تقديم ما أمكن من دعم للإنسان الكفيف، الذي يحتاج أكثر من غيره للدعم الاجتماعي والعلمي والتقني بحيث تعينه خدماتنا هذه على ممارسة حياته باستقلالية وراحة، وتعزز لديه الثقة بالنفس والاندماج بالمجتمع بشكل طبيعي.
وبسبب شح الخدمات المتوفرة للمكفوفين حرصنا على توفير خدمات نوعية تساعد الكفيف في المجالات التعليمية العلمية والثقافية وذلك بتسخير ما يتوفر من تقنيات خاصة لتحويل الكتب الي نصوص تكون بين أيديهم بشكل مجاني، ويمكن لبرامج القراءة الخاصة بالمكفوفين قراءتها.

مع تحيات:

فريق -متميزون-

انضم الى الجروب

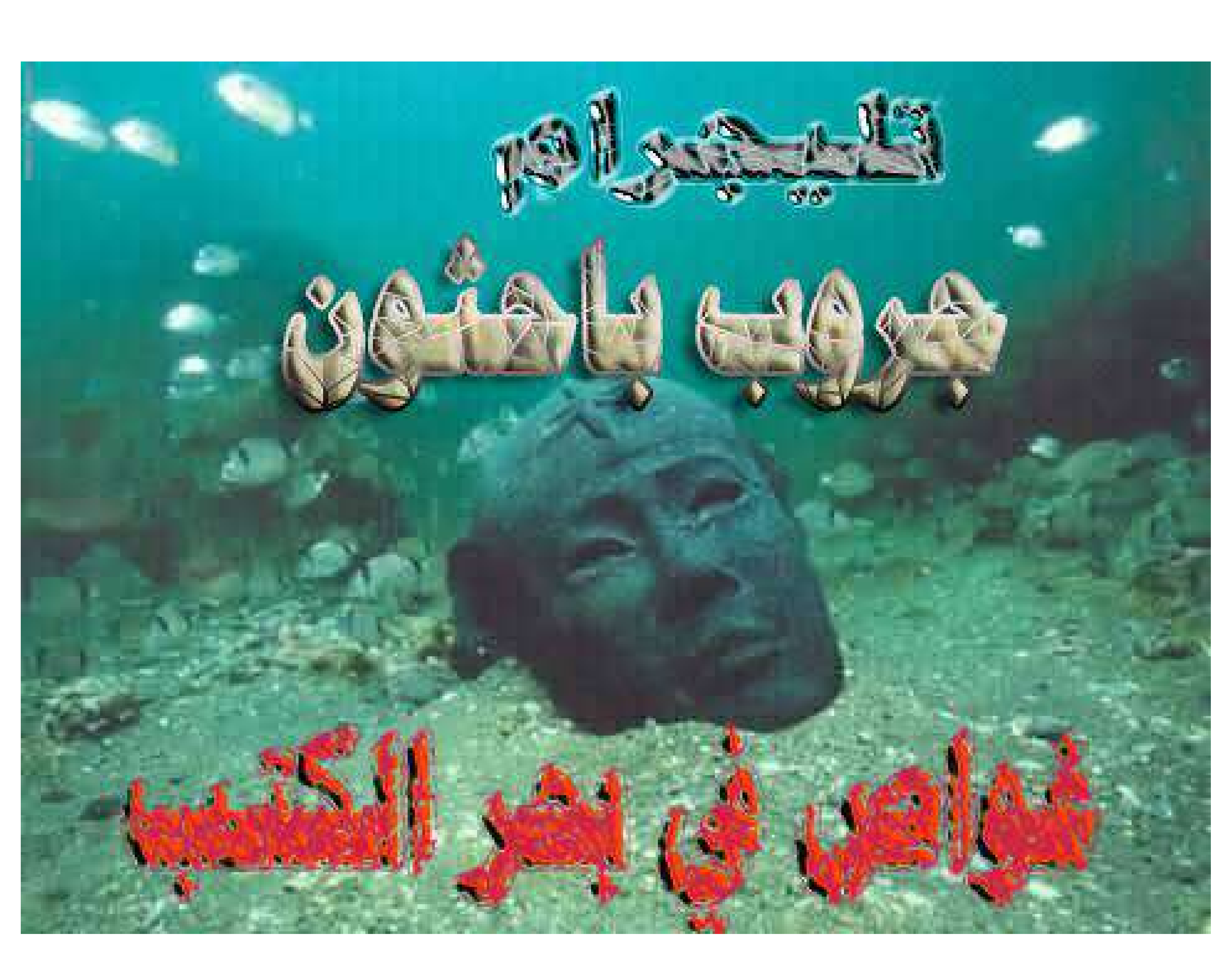
انضم الى القناة



# مسلم ويهودية

## قصة إنقاذ طبيب مصري لآنا من النازيين

الكاتب: رونين شاينكة
ترجمة: سكينة صالح – محمود مهران



# الشرق الأوسط – برلين

*"تفتني بعض السيدات كلاب البولدوج الصغيرة، ويرتدي بعضهن النظارات ذات العدسة الواحدة، وبعضهن يتردد علي قبو المجرمين، بينما تعتنق أخريات دينًا غريبًا" (1). هكذا كتب الصحفي الألماني القومي المشهور رومبيل شتيلتسكين -واسمه الحقيقي أدولف شتاين- عام 1928 في جريدة برلينر لوكال أنتسايجَر، وتابع قائلًا إن الناس في العاصمة الإمبراطورية قد تجاوزوا موضة الفيلسوف الهندي كريشنامورتي، وتجاوزوا موضة البوذيين الذين يزورون معبدهم في ضاحية فروناو الراقية، واختتم شتيلتسكين كلامه قائلًا: "الموضة الأكثر حداثة وأناقة في الوقت الراهن في برلين الغربية هي.. الإسلام".*

*عندما داهم رجال البوليس السري الألماني "جيستابو" في خريف عام 1943 عيادة الطبيب المصري الكائنة في حي شارلوتينبورج، رأوا عند المدخل فتاة مسلمة شابة، ذات وجه ممتلئ وبشرة فاتحة وعينين ذكيتين (كان رومبيل شتيلتسكين ليكتب عنهما "عيناها تُشعان سلامًا وخلاصًا" (2))، كانت جالسة في مكتب الاستقبال وتقوم بفرز بعض عينات الدم والبول مرتدية حجابًا من القماش الرقيق يغطي خصلات شعرها الأسود، وكانت غمازاتها تظهر عندما تبتسم، وكانت كثيرًا ما تبتسم، وظلت تبتسم حتى في اللحظة التي اقترب منها فيها رجال الجيستابو. وقد وصفها بعضهم لاحقًا بقوله: "كانت تشع بالطاقة والصحة" (3).*

*كانت طويلة القامة وبهية الطلعة، حتى إن وصفها أعجز بعضهم فقال عنها "شرقية" أو "جنوبية" أو "ترتدي حجابًا"، فماذا عساهم كانوا يقولون؟ حسنًا، لقد كانت هذه الشابة تبدو بكل تأكيد متأقلمةً على الوضع (4).*

*وكانت هذه المجاملة التي وصف بها شخصٌ ما، هذه الفتاة المسلمة التي تعمل كمساعدة للدكتور محمد حلمي مُناسبةً لها أكثر مما كان الكثيرون يظنون.*

*عندما أخذ رجال الجيستابو يصيحون بأوامرهم: "نريد التحدث إلى المدير، في الحال!"، طلبت منهم الفتاة الشابة الجلوس والانتظار قليلًا، وقالت إن الطبيب سيحضر حالًا للقائهم، فهو بطبيعة الحال يرحب بالمساعدة ويعرف الأصول. كانت الفتاة –كما الطبيب أيضًا- تتحدث الألمانية بطلاقة، وكانت تحمل اسمًا عربيًّا لكنه سهل النطق على الألمان أيضًا حيث كانت تدعى "نادية"، وحين يسألها أحد من أين هي؟ كانت تجيبه بأنها والطبيب قريبان، فهي ابنة أخته.*

*جال رجال الجيستابو في غرفة انتظار المرضى، يعلو وجوههم التشكك والريبة، وأخذوا يفتحون الأدراج وأبواب الخزانات ويزيحون الستائر، ويبدو أنهم أغلظوا القول لشخص ما وطلبوا منه إظهار أوراقه، بينما كانت نادية تقوم بالمساعدة في هدوء وسكينة على مسافة بضعة أمتار في الخلفية، تمامًا كما كان يُنتظر منها.*

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

*كانت القطارات تشق طريقها مُنذ عامين إلى معسكرات الإبادة، وقد بدأ الأمر بمسيرة الخزي والعار في برلين بأحد أيام الخريف الباردة بتاريخ 18 أكتوبر من عام 1941، وقتها تمت مطاردة مئات الرجال اليهود في شوارع وميادين أحياء موابيت، شارلوتنبورج وهالنسي، تحت الأمطار الغزيرة، وفي منطقة كورفورستندام أيضًا وصولًا إلى محطة قطارات جرونفالد.*

*والآن كان رجال الجيستابو يبحثون عن الأشخاص المختفين الذين بقوا ولم يُرحلوا، كان آلاف اليهود لا يزالون يعيشون خفيةً في برلين، وكان الكثيرون منهم يتجولون من دون مأوى، وينامون في الخلاء أو تحت منحنيات الجسور أو في الغابات، وكان البعض منهم يركب قطار الضواحي حتى نهاية ساعات العمل، ثم يتوجه إلى صالات الانتظار أو مراحيض محطات القطارات من أجل النوم.*

*لم تكن تلك هي المرة الأولى التي يأتي فيها مُخبرو الجيستابو إلى عيادة الطبيب المصري في حي شارلوتنبورج، طالبين التحدث إلى الطبيب المسلم، كذلك لم تكن تلك هي المرة الأولى التي يسألون فيها بإلحاح عن فتاة يهودية بعينها، كانت متغيبة، وكان اسمها آنا.*

*أخبرتهم المساعدة المحجبة بأن السيد الطبيب سيسعد كثيرًا لو تمكن من مساعدتهم، قبل أن يُعلن صوت خطواته بالردهة عن قدومه مُخلصًا إياها أخيرًا من هذا الحوار. كان الطبيب المصري القادم من حجرة العلاج أسمر البشرة فارع الطول، ومد يده لتحية الرجال:*

*"عاش هتلر (Heil Hitler)، سادتي".*

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

*"ها هو الشرق الحقيقي (5)؛ البدو، الدراويش، القاهريون، الأتراك، الإغريق ونساؤهم، والإماء، كل ذلك يبدو في صورته الأصلية التي لا يمكن إنكارها". كان هذا ما اقتنع به الناقد المسرحي الكبير ألفريد كير، حين اقترب ذات مرة في إحدى ليالي الصيف من كوخ طيني صغير في برلين، حيث امتزجت رائحة*

قهوة الهيل الشرقية مع سحب أدخنة السجائر البرلينية، والتي كانت تكلف واحدتها قرشين فقط آنذاك. وكتب عن المشهد نفسه أحد المحررين الصحفيين: "كان الرجال المسلمون يجلسون أمام الكوخ بملابسهم الحريرية الموشاة بالذهب يدخنون باستمتاع" (6)، غير أن رومبيل شتيلتسكين كتب معارضًا "إن هذه التجمعات التي نشاهدها حاليًا طوال الصيف في حديقة الحيوان ليست شديدة الأصالة والبدائية، فقد طالتها آثار الحضارة بشكل كبير". ولكن سكان برلين انغمسوا إلى أقصى حد في انبهارهم بالشرق، وكان أكثر ما يعجبهم مشاهدة البشر عبر قضبان إحدى حدائق الحيوان.

فقد كان العرب يُعرضون في برلين مثل الحيوانات الغريبة، مثلما حدث عام 1896 في "الحرملك التونسي"، وعام 1927 في "عرض طرابلس"، كما كانت كل من القاهرة وفلسطين من المواضيع المُحببة في عروض الشعوب. وقد اقتبس أحد المسافرين في تقرير له من مشاهداته وسط الزحام "أرجوكم لا تتدافعوا هكذا!" (7). بينما لم يشعر بالأسى عند رؤية مناظر الكواليس الصغيرة للقاهرة إلا أحد كتاب جريدة Allgemeine Zeitung des Judentum اليهودية، حيث كتب أن "هذه الصورة الشرقية تذكر بكثير من مشاهد الكتاب المقدس، كما تذكر أيضًا بالماضي المجيد والحاضر المحزن لأبناء شعبي" (8).

كان المسلمون واليهود على درجة كبيرة من التقارب خاصة في حقبتي العشرينيات والثلاثينيات المضطربة من القرن العشرين في برلين، حيث اكتشفوا ما يربطهم بعضهم ببعض وتعايشوا معًا بشكل جيد. وكان هذا التعاطف فيما بينهم أمرًا معروفًا بوجه عام، ولكن المدى الذي وصل إليه هذا التعاطف ظل مجهولًا لفترة طويلة، ولم يظهر للعلن إلا من خلال ما اكتُشف حديثًا في أرشيف الدولة والأرشيف السياسي لوزارة الخارجية الألمانية: كان العرب يُخبئون اليهود في وسط عاصمة مملكة هتلر لإنقاذ حياتهم. إنها لمن القصص المشجعة في زمن الكراهية هذا.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

إذا كان لدى بعض المسلمين في ألمانيا اليوم انطباع بأن ذكرى محرقة الهولوكوست لا تعنيهم في شيءٍ، وأنه لا يوجد لها أي نقاط تماس مع تاريخهم الخاص، حيث لا مكان فيها للمهاجرين المسلمين، فإن القصة المروية في هذا الكتاب ستثبت عكس ذلك، فهي مبنية على الوثائق التاريخية وملفات التعويضات ومراسلات الجيستابو ومستندات الدبلوماسيين، كما أنها تعتمد أيضًا على الإرث الشخصي لكلٍّ من حلمي وآنا، وتستند أيضًا إلى ساعات طويلة من المحادثات مع أبناء بطلي القصة وأبناء إخوتهما الباقين على قيد الحياة. وهي تلقي الضوء على عالم كاد أن يصبح منسيًّا وهو عالم برلين

*العربية القديمة في حقبة جمهورية فايمار التي كانت مُثقفة وتقدَّمية وبعيدة كلَّ البعد عن كونها معادية لليهود.*

*وعندما يتولد لدى بعض اليهود في ألمانيا اليوم انطباع بأن المناطق التي يقطنها المسلمون بكثرة قد أصبحت مناطق محظورة عليهم، وأنه لم يعد بإمكانهم التنقل فيها بأمان، فإن الأحداث الحقيقية التي ستسرد هنا لن تُشكل أي عزاءٍ لهم، ولكنها مع ذلك تحمل الأمل في إمكانية تغير الأمور يومًا ما، فتاريخ المسلمين في أوروبا أقدم وأكثر تنوعًا مما يبدو في كثير من الأحيان.*

*لا ننوي تجميل الصورة، فقد كان بعض المسلمين ببرلين في خدمة النازية في ثلاثينيات القرن الماضي، وتقدم البعض الآخر لخدمة النظام وساعدوا في تنفيذ سياسته ودعايته المعادية لليهود، أو ترجموا كتاب "كفاحي" إلى اللغة العربية. ولكن ثمة مجموعة ليست بالصغيرة منهم شكلت جزءًا خاصًّا جدًّا من المقاومة الألمانية ضد اضطهاد اليهود. هذا الكتاب يدور حول هذه المجموعة وأعضائها الشجعان.*

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

*(1)- رامبيل ستيلتسكين (أدولف شتاين). حوار مع الأستاذ الدكتور عبد الله في ميدان فيربيلينر. هامش رقم 14، بتاريخ 13 ديسمبر 1928 في رامبيل ستيلتسكين."نعم: أرغب"، برلين 1928.*

*(2)- نفس المرجع.*

*(3)- هذا ما تظهره الوثائق الموجودة في أرشيف عائلة جوتمان، نيويورك وكذلك أيضًا من المقابلات التي أجريت مع كارلا جوتمان غرينسبان وتشالز جوتمان في سبتمبر 2016م.*

*(4)- نفس المرجع.*

*(5)- قارن ألفريد كير، خطاب يوم 3 مايو 1896، تمت طباعته في: "أين تقع برلين؟" خطابات من عاصمة المملكة، برلين 1999 ص 151 وما بعدها، مقتبس من عائشة أحمد "الرؤية فخ"، الحضور العربي; رؤية الشعوب والقضية الاجتماعية للآخرين في ألمانيا 1896/1927، في: يوزي برونر/ شاي لافي (الناشر) اليهود والمسلمون بألمانيا- الحق والدين والهوية. في: الإصدار السنوي لتل أبيب عن التاريخ الألماني، جوتنجن 2009 ص 81-102 هنا ص 94.*

*(6)- 11- ريمبلستيتسكين (أدولف شتاين) "أهل طرابلس في حديقة الحيوان"، هامش رقم 40 في 9 يوليو 1927، في: رومبيلستيتسكين "المحطات الإذاعية ببرلين"، برلين 1927.*

*(7)- قارن ألبوم رائع للقطات فوتوغرافية لمعرض الصناعة ببرلين عام 1896 والمزارات السياحية ببرلين ومنتزهات "تربتاو" ومدينة برلين القديمة ومعرض الاستعمار والقاهرة... إلخ، نص بقلم باول ليندينبرج بالاشتراك مع هانس ليشتنفلت، برلين 1896 ص 48، مقتبس من عائشة أحمد "الرؤية فخ"، ذكر في موضع آخر. ص 91.*

*(8)- N.N. في معرض الصناعة ببرلين، في: الصحيفة العامة لليهودية، بتاريخ 5 يونيو 1896.*

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

# زيارة منزلية

كان ذلك حتمًا عصر أحد الأيام في عام 1936 عندما تقابلا للمرة الأولى، دكتور محمد حلمي والفتاة الشابة آنا، حينها أخذت الفتاة تتابع بحرج بالغ تلك المسرحية التي دارت أحداثها ذلك اليوم، وسيظل ذلك اليوم عالقًا في ذاكرتها بسبب الطريقة التي كان يتصرف بها الكبار (9). كانت شوارع موابيت بالخارج مفعمة بالنشاط والحركة مما اضطر دكتور حلمي أن يتوقف بسيارته أثناء طريقه إلى وسط المدينة حيث نوافذ العرض ولوحات الدعاية بميدان أليكسندر في برلين.

توقف أمام منزلها الذي ينم عن يسر الحال بشارع فريدريش الجديد، نزل من سيارته ودق الجرس، منزل رقم 77. كاد متجر الفاكهة أن يستحوذ على الطابق الأرضي بأكمله. فاحت على الرصيف رائحة الخوخ الإيطالي الطازج الذي يُباع الكيلو منه بأربعة ماركات (10) والطماطم الطازجة التي يبلغ سعر الكيلو منها 20 قرشًا. لقد سبق وأن اتصلت به سيدة لا يعرفها.

استقبلته عند باب الشقة سيدتان تضعان كامل الحلي، خواتم ماس وقلادات لامعة، ولم يكد الطبيب يتمنى لهما يومًا سعيدًا، حتى بدأت السيدتان بمجاملته والإطراء عليه، واستدعتا مديرة المنزل لتقديم الشاي بسرعة للسيد الطبيب، وكذلك الطباخة المجرية لإعداد وجبة خفيفة وبعض المرطبات (11)، وطلبتا منه ألا يقلق، لأنهما في هذا المنزل لا تستخدمان لحم الخنزير.

كانت آنا في الحادية عشرة من عمرها، وكانت تعيش مع هاتين السيدتين؛ والدتها وجدتها، ولم تكن تصدق ما سمعته أذناها من تودد أمها للطبيب المصري بهذه الطريقة (12). وبدأت السيدتان في محاولة جذبه من خلال تقديم الدعوات "للفوز به على المستوى الشخصي" (13)، كما بدا لآنا.

قالت آنا عن نفسها فيما بعد إنها "لم تكن ذلك الشخص الذي يتحدث كثيرًا عن همومه". فلم تستطع التحدث إلى هاتين السيدتين عن أي شيءٍ يقلقها أو يشغلها، وكانت تشعر أنهما قاسيتان ومقترتان. ربما كانتا بهذه القسوة والصرامة لأنه توجب عليهما ذلك، فالرجال في أسرتهما إما كانوا متقلبي المزاج أو رحلوا بسبب الموت المُبكر أو الطلاق، ولذلك تولت السيدتان إدارة المتجر، وكانتا تبخلان عليها بالاهتمام والإطراء، ولذلك استغربت الطفلة بشكل بالغ هذه المسرحية التي تجري في حضور دكتور حلمي، فقد لاحظت آنا أن كلًّا منهما "تحاول التودد إليه" (14).

*كانت السيدتان تستدعيان آنا مرارًا وتكرارًا، رغم أنها لا علاقة لها بزيارة الطبيب هذه، فتنادي جدتها المجرية „آنا تعالي إلى هنا، هيا إلى هناك يا بانيكا" (15). وتطلب منها جدتها التي دائمًا ما تنطق كلمات الود والخبث بنفس الصوت المعسول: "لا تقفي في طريق السيد الطبيب، ابحثي عن شيءٍ مفيد تفعلينه".*

*ولم يكن الدكتور حلمي الذي همّ بخلع معطفه ينوي الشكوى من أن أحدًا يعترض طريقه، ولكن آنا كانت تدرك ما يكفي كي لا تدخل في جدال مع جدتها.*

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

*حيث تذكرت ذلك فيما بعد قائلة "كنت أكثر الناس معرفة بأحوالنا" (16). كانت أحوال اليهود قد بدأت تسوء وواصلت آنا قائلة: "تأميم المتاجر ومصادرة الأموال إلى آخر هذه الأمور". لذلك آثرت آنا الصمت.*

*أحضرت مديرة المنزل الشاي ومشتملاته في الطاقم الفاخر، وسارت به مرورًا بالبيانو والأرائك المغطاة بالحرير عبر غرفة المعيشة، حيث يوجد مقعد "الشيزلونج" وسريران وخزانتان وثلاثة بسط، مرورًا باللوحات والأواني والتماثيل وصولًا إلى الغرفة التي اختارتها جدة آنا ليفحصها فيها الطبيب العربي؛ ذلك الصالون الذي يحتوي على دولاب زجاجي وستة مقاعد وثيرة ومرآة حائط كانت تطلق عليها الجدة "تريموه" (التسريحة) (17).*

*كان هؤلاء الناس ميسوري الحال كما لاحظ الدكتور حلمي في ظل مرآة الحائط، وربما لهذا السبب طلبوه لزيارتهم في المنزل بدلًا من الذهاب إليه في العيادة، ففي متجر الفاكهة الكبير الموجود بالطابق الأرضي والذي يحمل اسم "م. رودنيك شركة مساهمة ذات مسؤولية محدودة"، وهو الحرف الأول من اسم "موازيه" أو "ماكس رودنيك" (18) الزوج الثاني لسيسيليا جدة آنا، في هذا المتجر تتحكم هاتان السيدتان في أطنان من الجريب فروت (19) وحمولات من الأناناس وفي كثير من الموظفين وكذلك في مبيعات سنوية تجاوز مئات الآلاف من الماركات، وبالرغم من كل ذلك فقد بدا للطبيب مدى توتر هاتين السيدتين.*

*كان المتجر يبيع شهريًّا طنًّا من العنب الهولندي، وهو ما بات أكثر صعوبة بسبب القوانين الجديدة الخاصة باليهود، فأخلاقيات التعامل المالي للعملاء غير اليهود سببت لهما ولغيرهما من التجار اليهود الكثير من المشاكل، ففي الآونة الأخيرة تعرضت كل طرق الاستيراد -التي ساهمت سابقًا في نجاح هذا المتجر- للقيود، مثل استيراد الباذنجان من إيطاليا والتين من اليونان، والزبيب*

*من فرنسا، والفلفل والخيار وأقماع الذرة والكمثري من المجر، وربما استفاد من ذلك البنجر القادم من براندينبورج!*

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

*في ساحة السوق الرئيسة التي تبعد بضع خطوات في شارع فريدش الجديد، تم تثبيت لافتات كُتب عليها "لا يُسمح بدخول اليهود قبل الساعة الثانية عشرة"، أي في الوقت الذي لا يوجد فيه سوى حبات الطماطم العفصة والخس الفاسد، وعندما قامت "جولي" والدة آنا رغم ذلك ذات مرة بجولتها في السوق صباحًا في تمام الساعة التاسعة إلا الثلث، أبلغ أحد البائعين عنها فأجبرتها الشرطة على دفع غرامة مالية بقيمة خمسة وعشرين ماركًا (20). وعلى الأقل، كان الاستيراد من موطن العائلة لا يزال يسير بانتظام، حيث يأتي الجوز من شواطئ البحر الأسود إلى متجرهم في برلين (21).*

*ثم سألتا الطبيب إن كان بوسعهما تقديم المزيد له وإن كان يعلم أنهما تستوردان أيضًا من بعض البلدان العربية؟ أكثرت جولي والدة آنا من الحديث، فهذا ما كانت تفعله دائمًا عندما تكون مرتبكة، لقد كان عليها أن تكافح دائمًا من أجل نيل التقدير والإعجاب، قديمًا علق عليها والداها آمالًا كبيرة، فدرست البيانو في معهد الموسيقي، ولكن لم يغب عن جولي ما كان والداها يعتقدان عندما بدأت تعزف على بيانو المنزل مقطوعات مثل "مورفين" لميشا سيليانسكي أو مقطوعات لشيميس مثل "فيلي ليلًا" (22) و"إحضار شفيبس إلى المنزل" و"الطفل ذو الجدائل السوداء" وكذلك المقطوعة اللاتينية „حق الليلة الأولى".*

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

*منذ عام مضى –عام 1935- فَقَدَ أغلب الأطباء اليهود في برلين رخصة مزاولة المهنة (23)، وصارت الأمور أكثر صعوبة على المرضى اليهود. وقد كان الطبيب المسلم دكتور حلمي حينئذ في وضع خاص: لقد كان الوحيد (غير الآري) في برلين الذي لا يزال يشغل منصب أخصائي بالمشفى، بل في واحدة من أكبر المشافي في المدينة (مشفى روبرت كوخ في موابيت). وهذه وظيفة عالية القيمة جعلته الوحيد الذي يمكنه الوصول إلى أدوية معقولة مثل عقار شتروفانتين لعلاج مشاكل ضعف القلب وعقار سلفرسان كمضاد حيوي حقيقي، وليس فقط تلك الأدوية الخفيفة التي كان يعتمد عليها الأطباء اليهود.*

*لم يكن تودد جدة آنا لضيفها الخاص إذًا بدافع المحبة الحقيقية، بل بدافع يأسها، كما أدركت أن حلمي أيضًا لا بدّ أن له جانبًا آخر مظلمًا غير الذي تراه.*

*لاحقًا لن تذكره بكلمة طيبة أو أي كلمة شكر أو عرفان، حتى إنها كتبت عنه بعد الحرب في أحد خطاباتها "سيظل الوغدُ وغدًا" (24).*

*في الحقيقة لم تكن الجدة تميل أبدًا للطف المبالغ فيه، وكانت آنا تعلم ذلك أيضًا، ولذلك زاد ارتباكها من هذه الحفاوة البالغة التي رأتها عصر ذلك اليوم. أما جولي والدة آنا فقد جاءت إلى برلين على غير إرادتها، حيث كانت تعيش في وطنها القديم مع صاحب مصنع يهودي يدعى لاديسلاوس بوروس، ثم تزوجا ورزقت بآنا، "هديتها من السماء". ولكن سيسيليا جدة آنا كانت قد سبقتهم حينها إلى برلين وأرادت منها أن تلحق بها. لذلك استأجرت الجدة محققًا خاصًّا من برلين وكلفته بإثبات أن لاديسلاوس بوروس زير نساء (25)، فأنجز المحقق الخاص مهمته بنجاح، وانهار زواجهما، وطُلّقت جولي، وجاءت إلى برلين مُحطمة كأم معيلة وحيدة لابنتها آنا ذات العامين، تمامًا كما خططت سيسيليا.*

*والآن، أثناء زيارة الطبيب المسلم الجالس أسفل مرآة الحائط، بدت الجدة في منتهى الرقة والعذوبة! كانت آنا تنتابها القشعريرة من داخلها، بينما وضعت الطاهية المجرية صينية المرطبات، وأخذت السيدتان تدعوان دكتور حلمي وتحفزانه: "تفضل!"، ولم تكن آنا لتستغرب لو جلست والدتها إلى البيانو لكي تدهش الضيف الغريب بعزفها كما كانت تفعل مرارًا. وعلقت آنا لاحقًا قائلة إن مقطوعة "قط المداعبة الصغير" (26) المجرية كانت لتناسب الموقف تمامًا.*

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

*(9)- قارن التقرير الذي كتبته "آنا" لهيئة إزالة تأثير النازية في 10 يوليو 1945، أرشيف عائلة جوتمان. يدلي الأرشيف بأن آنا الملزمة بالذهاب إلى المدرسة كانت تتواجد بالمنزل أثناء وقت المقابلة أما جورج الموظف فلم يكن موجودًا.*

*(10)- قارن سجل التعويضات، مواس رودنيك، المكتب الدولي لشؤون المواطنين والنظام ببرلين، مكتب العويضات (LABO برلين)، سجل رقم 314236 Bl. 9 و12 E.*

*(11)- قارن نفس المرجع Bl. E 34.*

*(12)- حوار مع تشارلز جوتمان في سبتمبر 2016.*

*(13)- تقرير بقلم "آنا" في 10 يوليو 1945، أرشيف عائلة جوتمان.*

*(14)- تقرير بقلم آنا في 10 يوليو 1945، أرشيف عائلة جوتمان.*

*(15)- يوجد اسم الكنية هذا في خطاب سيسيليا رودنيكس إلى "آنا" في 25 أكتوبر 1948، أرشيف عائلة جوتمان.*

*(16)- تقرير من "آنا" في 10 يوليو 1945، أرشيف عائلة جوتمان.*

*(17)- قارن ملف التعويضات، سيسيل رونديك LABO برلين، سجل رقم 25535، Bl.D 16.*

*(18)- قارن ملف التعويضات، مارتين رودنيك LABO برلين، سجل رقم 23973 Bl. E3.*

*(19)- قارن ملف التعويضات، مواس رودنيك LABO برلين/ سجل رقم 23973 Bl.B ص 53-54.*

*(20)- قارن ملف التعويضات جولي فيير LABO برلين/ سجل رقم 72475 Bl C3.*

*(21)- قارن ملف التعويضات مارتين رودنيك LABO برلين، سجل رقم 23973/ Bl. B ص 53-54.*

*(22)- دفتر مدونات البيانو الخاص ب جولي فيير/ أرشيف عائلة جوتمان.*

*(23)- وفقًا لقانون أطباء المملكة ليوم 13 ديسمبر عام 1935 (RGBi I ص 1433) كان يتم إصدار تصريح مزاولة المهنة للأطباء الأغراب في حالات استثنائية فقط وبعد موافقة مسبقة من وزير داخلية المملكة.*

*(24)- خطاب من سيسيل رودنيك إلى "آنا" في 25 اكتوبر 1948/ أرشيف عائلة جوتمان.*

*(25)- حوار مع كارلا جوتمان غرينسبان في سبتمبر 2016.*

*(26)- قارن مدونات البيانو الخاصه بيولي فيرس، أرشيف عائلة جوتمان وحوار مع كارلا جوتمان غرينسبان في سبتمبر 2016.*

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

# رائحة الشاي

*كانت جدة آنا لا تزال تتذكر ذلك اليوم حين أخذ رجال كتيبة العاصفة ((SA 27)) يحومون أمام متجر الفواكه خاصتها في ميدان أليكسندر ويصيحون للمرة الأولى قائلين "مقاطعة" و"لا تشتروا من عند اليهود" وأشياء من هذا القبيل، ثم بدأ المطر يتساقط، كانوا عدة أشخاص بائسين سرعان ما بللهم المطر وانصرفوا لحسن الحظ سريعًا (28). أما مُرتكبو العنف الحقيقيون فقد أطلقتهم كتيبة العاصفة (SA) في نفس ذلك اليوم الأول من أبريل عام 1933 في مكانٍ آخر: في مشفى موابيت، حيث توجهت العديد من سيارات النقل الخاصة بكتيبة العاصفة (SA) رقم 33 بين أبنية المشفى المُغطى بالطوب الأحمر، وقد كان هذا هو نفس المشفى الذي يعمل به دكتور حلمي.*

*كانت كتيبة العاصفة (SA) رقم 33 تتكون من مجموعة من عتاة البلطجية وتُعرف بـ"عاصفة القتل". قفز ما يزيد على العشرين منهم من سيارات النقل وانتشروا في جميع أقسام المشفى مُمسكين بقوائم مُعدة سلفًا، وألقوا القبض على الأطباء اليهود من غرف الكشف وأجنحة العمليات. وحين اقتحموا غرفة رئيس قسم الأعصاب أ. دكتور كورت جولدشتاين سألهم قائلًا: "هل تسمحون لي فقط أن أسلم مرضاي للطبيب المُشرف؟" (29) فردوا عليه قائلين: "كل إنسان له بديل، وأنت أيضًا".*

*كان الأطباء اليهود ما زالوا يرتدون معاطفهم البيضاء، عندما ساقهم رجال كتيبة العاصفة (SA) إلى السيارات ذات الأقفاص المُنتظرة في الفناء الداخلي للمشفى. وتم نقلهم إلى تلك الثكنة في شارع الجنرال بابي، التي اتخذها النازيون مقرًّا لهم. تم تسجيل كل شيء بدقة وعمل محاضر مُحكمة، لقد شعر رجال كتيبة العاصفة (SA) بالنشوة لكونهم يُطلق عليهم في الآونة الأخيرة لقب "مُساعدي الشرطة". وقد أعطوا كل سجين ورقة يسجل فيها اسمه ووظيفته، كما لو كان الأمر برمته يسير وفق القواعد والقوانين. وقد ذكر الكاتب ليون فويشتفانجر فيما بعد أن "أفظع ما في الأمر على الإطلاق كان النظام البيروقراطي العسكري الذي كانت إساءة المعاملة في شارع الجنرال بابي تتم وفقًا له (30). كانت حفلات الضرب والتعذيب تبدأ في القبو ليلًا، حيث كانوا أحيانًا ينهالون ضربًا بالعصي على بعض الأطباء حتى الموت" (31).*

*في اليوم التالي خيم على المشفى سكون تام، وكأنه فارغ تمامًا، فقد كان ثلثا الأطباء في هذا المشفى من اليهود، وأين هم الآن؟ لقد اختفوا. كان المشفى يقع بين حفر ومطبات الطرق ومصانع الخمور غير المُرخصة في*

*حي موابيت، وسط هذا الخليط من الأحجار الحمراء وأعمدة الإعلانات وسلالم الحريق وحبال الغسيل، أي هذه المشاهد التي تصور أحياء الفقراء في جميع أنحاء العالم، وقد ارتبطت أقدار هذا الحي بهذا المشفى منذ اندلاع الأزمة الاقتصادية الكبيرة عام 1929، كما ذكر أحد الأطباء لاحقًا (32).*

*لذلك ظهرت شكوك جدة آنا في شخصية دكتور حلمي عندما سمعت عنه للمرة الأولى، ذاك المصري الذي كان لا يزال يعمل هنا في عام 1936، أي بعد تلك الغارة النازية بثلاث سنوات. ما كان عليها إلا أن تستنتج من ذلك النتيجة المنطقية.*

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

*"كل إنسان له بديل، وأنت أيضًا"، عندما صاح رجال كتيبة العاصفة (SA) بهذه الجملة عام 1933، لم يكن حلمي من ضمن هؤلاء الذين تم استبدالهم، وإنما ضمن أولئك الذين وقفوا متأهبين ليحلوا محلهم.*

*وربما فكرت الجدة كذلك: "وبالذات شخصٌ عربيٌ؟" لقد كانت الرابطة قوية وقتها في برلين بين الجالية العربية الصغيرة والجالية اليهودية الأكبر بمراحل، وكان العرب في هذه المدينة يدينون بالكثير لليهود. لقد جاء آلاف الشباب من دول عربية مختلفة إلى برلين، حيث كانت جامعات المدينة تجذب الكثير من أبناء أعرق العائلات من القاهرة ودمشق.*

*عندما وصل حلمي إلى برلين في أكتوبر من عام 1922 لدراسة الطب (33)، كانت المدينة توحي بانطباع غريب: كان الألمان قد أردوا للتو وزير خارجيهم فالتر راتيناو رميًا بالرصاص، الذي كان أول وزير خارجية يهودي في ألمانيا، وكانت سيدات يرتدين غطاء الرأس والمريلة يدفعن أمامهن عربات يدوية محملة بالأوراق المالية، كانت المدينة مُدمرة وسقطت البورصة في بئر بلا قرار. وبدا للزوار الأجانب أن "ورقة المارك الألماني تتكاثر بتأثير قوى غريبة وتتحول إلى حزمة من ألف مارك مثلما تتحول الرقاقة الواحدة من العجين إلى طبقات كثيرة (34)، وكانت ماكينة طباعة العملة لا تتوقف عن العمل، كما لو أن هناك سحرة يعملون بمطبعة البنكنوت الخاصة ببرلين". ولكن هذا كان يعني أيضًا أن: „بوسع المرء أن يعيش بعشرة جنيهات في الشهر بكل يسر وسهولة" (35) كما ذكر في جريدةٍ قاهرية أحد دارسي الطب المصريين الذي عاش لفترة في برلين، فقد كان سعر صرف العملة وقتئذ رائعًا للمصريين وخاصة أبناء الأثرياء، مثل حلمي الذي كان والده رائدًا في الجيش المصري.*

*عندما كان يأتي أبناء إخوته من مصر لزيارته في برلين لم يكن يكتفي فقط باصطحابهم لزيارة الأماكن الثقافية الشهيرة في المدينة مثل التمثال النصفي*

*لنفرتيتي الذي يحظى بإعجاب الجماهير في جزيرة المتاحف في برلين مُنذ عام 1924، وإنما كان يهتم بمتعٍ أخرى مثل المطاعم الشهيرة لتناول لحم الخنزير المشوي والنبيذ، لم يكنً هناك أي شيء مُحرم، وكان يداعبهم قائلًا: "جرب وأنت مطمئن يا حبيبي. أنا طبيب وأقول لك هذا صحي" (36).*

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

*كان الطلاب العرب مرغوبين في تلك المدينة وكانت الأبواب تُفتح أمامهم أينما حلوا، فبمجرد وصولهم إلى محطة القطارات قادمين في عربات النوم المزخرفة بالنحاس والقادمة من أقصى جنوب إيطاليا تجلجل في هدوء متجهة إلى الشمال، كانت بعض السيدات الألمانيات يرتدين أجمل ملابسهن ويحاولن جذبهم على رصيف المحطة، وكان الضيوف القادمون من الشرق يسكنون على وجه الخصوص في منطقة كودام المكتظة بمراكز التسوق والمقاهي لدى أسر برجوازية، فينقذون بفضل الإيجار من الباطن بعض هذه الأسر ماديًّا. ومن هنا كانوا يستمتعون بمنظر الملاهي الليلية والمقاهي وأغطية الرأس الخاصة بشرطة الحماية البروسية. وقد كان بعض الطلاب العرب يشعرون وكأنهم صاروا أبناءهم بالتبني، وكان حلمي كغيره أيضًا يتواعد في عطلة نهاية الأسبوع للعب التنس أو التجوال أو الإبحار بالمراكب الشراعية (37)، وكانت أغلبية هذه الأسر التي تحتضنهم يهودية، فالبعض يفعل ذلك كنوع من اللطف والبعض الآخر يحركه ما قد يصل إلى شوق رومانسي حقيقي.*

*كانت هناك في ذلك الوقت الشاعرة اليهودية إلزا لاسكر شولر، التي كانت ترتدي ملابس أمير عربي وتتجول في شوارع كورفورستندام، وتتحول في قصائدها إلى يوسف عازف الناي منشدة: "ما زالت الرياح مُجهدةً تتلاعب بالنخيل، وكان الجو معتمًا للغاية وقت الظهيرة في الصحراء".*

*وقد وصفت اليهود والعرب في كتابها "أرض العبريين" كأخين غير أشقاء يدعيان جوزيف ويوسف، فأرادت بذلك إعادة الجمع بين ما تشتت وتفرق.*

*وكان هناك أيضًا الشاعر ليو نوسيمباوم الذي ولد في مدينة باكو ابنًا لتاجر زيوت يهودي، وقد أطلق على نفسه فيما بعد اسم محمد أسعد بك، وكانت كتبه تُشكل مادة حوارية بالمقاهي والصالونات، وكان يحضر أمسيات القراءة التي تقام في مقهى "جروسنفان" في ميدان كورفورستندام مرتديًا عمامة الرأس وبنطالًا فضفاضًا وقرطًا.*

*عندما جاء إمام المسجد ومساعده إلى برلين عام 1925 أقاما عند أسرة أوتينجر اليهودية في منطقة الكورفورستندام بإيجار من الباطن (38). وقد*

*كان للمثقفين اليهود تاريخ طويل في الاهتمام بالثقافة العربية؛ فقد درس الحاخام الليبرالي أبراهام جايجر اللغة العربية والقرآن في القرن التاسع عشر (39)، وفي الأمسيات المفتوحة التي كان يقيمها المسجد في حي فيلمرسدورف كان يوجد الكثير من اليهود بين الحضور، حتى إن جواسيس الجيستابو ذكروا في تقاريرهم عام 1934 أن مُصلى المسلمين هذا يوفر"مخبأ ومأوىً ليهود حي كورفورستندام" (40)، بل وأكثر من ذلك، فقد ذكروا في التقارير: "بمجرد أن يشعر الماركون في هذه التجمعات بعدم وجود غرباء بينهم، فإنهم يلقون بالتعليقات المسيئة للنازية وزعيمها" (41). إلى هذا الحد وصلت الصراحة فيما بينهم.*

*كان المسجد في ميدان فربيلينار في فيلميرسدورف تزينه منارتان يبلغ ارتفاع الواحدة منهما ٣٢ مترًا، ومنمنمات مجردة ومصابيح، كان اقتباسًا معماريًّا ونُسخة مُصغرة من "تاج محل"، تقليدًا لذلك البناء المغولي في مدينة أكرا الهندية، وقد أسسه مسلمون من لاهور في الهند البريطانية في عام ١٩٢٥، كانوا يعملون مع جوتليب فيلهيلم لايتنر اليهودي المجري الذي يقوم بتدريس اللغة العربية والشريعة الإسلامية بكلية "كينجز كوليج" في لندن (42).*

*كان المبنى أبيض اللون من الخارج ومُزركشًا من الداخل على الطراز الآسيوي بألوان مُختلفة، كاللون الذهبي المائل للصفرة واللون الأحمر والأزرق الصافي. هذا الطراز ربما لم يكن بالضرورة على ذوق أهل السنة المصريين الذي يميل للمباني الهندسية الواقعية، والذين كان حلمي واحدًا منهم. "حلم من المرمر (43)، قصيدة شعرية من الحجر" هكذا وصفه أحد المسلمين الجدد المُتحمسين الذي كان يعلق على سترته الصليب الحديدي للمشاركين في الحرب العالمية. كان خالد ألبيرت سايلر خان (44) مقاتلًا ألمانيًّا بالصفوف الأمامية وقد اعتنق الإسلام إثر عودته إلى موطنه، وقد كان أحد هؤلاء الذين عاصروا المسلمين الأوائل في برلين وهم يلتقون لأداء الصلاة فوق سطح مرصد تربتوف.*

*كانت زيارة المسجد عادة ما تكلف ٣٠ مليمًا (45)، ولكن في الأمسيات الخاصة كان مسلمو برلين في عشرينيات القرن الماضي يرسلون دعوات للدبلوماسيين والأدباء والعلماء (46)، حيث يصدح الغناء بين أركان نوافذ المسجد ذات اللون الفيروزي، ويقوم رجل يرتدي وشاحًا من الكشمير (47) بإنشاد قصائد للشاعر محمد إقبال، بعد أن قدمه للحضور بوصفه ريلكه الهند، ويؤدي أربعة تتار من جبال الأورال أغنية وطنية، بينما تطوف المكان صواني الشاي والتمرَ والحلوى.*

"وكان بريق السجاجيد الشرقية الخافت يزيد من الجو الاحتفالي لهذا المسجد المضيء". هكذا لاحظ أحد الصحفيين الألمان متعجبًا بينما كان ينظر نحو قبة المسجد. كان ذلك يوم أربعاء من شهر فبراير لعام 1931، يوم عيد الفطر.

كان حلمي حينها طبيبًا مساعدًا في المستشفى، وهو عمل شاق كان حلمي يُروح عن نفسه منه في لحظات كهذه.

في مساء ذلك اليوم انبعثت رائحة البارود في مناطق أخرى من برلين، وفي مجلس النواب ألقى الشيوعيون ببعض الديمقراطيين الاجتماعيين من مدرجات المجلس.

وفي مجلس المدينة ارتفعت الهتافات الصاخبة والصراخ، وانتهت الاضطرابات بإطلاق أحد النازيين -وكان يبلغ من العمر 22 عامًا- ثماني طلقات من مسدسه على جموع الأعضاء (48). أما المسجد فقد ساده جو من التأمل، كما ذكر المراسل الألماني الذي كان ضيفًا على المسلمين بالمسجد: "نجلس حول طاولة الشاي الخاصة بالمسلمين (49)، حيث تختلط رائحة الشاي بعبق الزهور الناعم أمامنا".

كان من المفترض أن يعود حلمي في واقع الأمر إلى القاهرة عام 1931، حيث طلبت أسرته عودته، فهي التي دعمته ماديًّا في دراسته للطب، والآن بعد أن حصل على شهادته من جامعة فريدريش فيلهيلم (50)، كان عليه أن يعود إلى موطنه لدعم عائلته، إلا أنه شعر بالارتياح في برلين كثيرًا لدرجة أنه لم يستطع تلبية ذلك الطلب.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

وصف فالتر رايتناو موطنه، أي مدينة برلين الواقعة على ضفاف نهر شبريه، بأنها: "مثل محدثي النعمة بين المدن الكبرى (51)، والمدينة الكبرى لمحدثي النعمة"، وقال أيضًا إن "شيئًا كهذا لا يدعو إلى الخجل أو الخزي لأن كلمة محدث نعمة تساوي في اللغة الألمانية: رجل عصامي"، وهذا تمامًا ما يتوافق مع شعور الطبيب الشاب دكتور حلمي نحو مشوار حياته. فلو أنه تبع دعوة أسرته لكان عليه أن يبدأ في القاهرة من الصفر مرة أخرى. فقد ضعفت لغته العربية وانعقد لسانه وبدأت الكلمات تضيع منه، وهذا ما يمكن ملاحظته في الخطابات التي كان يكتبها، لذا عارض حلمي نداءات عائلته (52) وظل هناك حيث وصل بالفعل إلى ما يصبو إليه، وقد أدى ذلك إلى حدوث نوع من القطيعة، وبخاصة مع أخيه الأكبر في القاهرة الذي كان ضابطًا وأصبح الآن كبير العائلة.

*كان جورج كليمبرر واحدًا من أبرز الشخصيات العالمية في مجال طب الباطنة الذي تخصص فيه حلمي أيضًا، وقد كان أستاذًا يهوديًّا وجيهًا ذا شارب أبيض، وكان ابنًا لحاخام ليبرالي من براندنبورج وأخًا للكاتب فيكتور كليمبر.*

*كان جورج كبير الأطباء في مشفى موابيت وقد أبدى ترحيبًا شديدًا بالطالب المصري حلمي و"بشغفه الكبير بالعمل" (53). وفي الواقع كان معروفًا عن هذا الأستاذ أنه يفضّل توظيف اليهود، فربما شعر بأن التضامن معهم يُلزمه بدعمهم، وقال إن الأطباء اليهود لا يجدون مكانًا في أي موقع آخر (54)، ولذلك يقوم هو بتوظيفهم. ولكنه ضم أيضًا إلى دائرة تضامنه هذا الشاب المسلم، الغريب على المشافي والمعاهد الألمانية.*

*ذات مرة قال الأستاذ لمساعديه: "أتعرفون ما الفرق بين الطبيب الآري والطبيب اليهودي؟ الطبيب اليهودي يرى عمله كخدمة، إنه خادم للمرضى، أما الطبيب الآري فهو القائد الذي يعطي الأوامر" (55). وعلى ما يبدو فقد صنف كليمبرر الشاب الموهوب حلمي في الجانب الصحيح من بين هذين النمطين، فأخذ يعهد بمهام أكبر لحلمي الذي "اهتم بحماس خاص بعلم أمراض الجهاز التناسلي البولي" (56)، وكتب عنه مادحًا أنه "تأقلم بشكلٍ جيدٍ جدًّا مع اللغة والتقاليد الألمانية والعقلية الألمانية، لدرجة أن المرضى لم يشعروا إطلاقًا أنه أجنبي" (57).*

*لم يكن حلمي هو الوحيد الذي حصل على هذه الفرصة، بل حصل على مثل هذه الفرصة طلاب عرب آخرون من دارسي الطب، مثل محمد الحضري (58) الذي كان بجانب دراسته يتدرب في عيادة أمراض النساء على يد دكتور ماكس هيرش، وكذلك السوري وسيل رسلان الذي تولى فيما بعد رئاسة الجالية الإسلامية في برلين.*

*كان الدكتور كليمبرير على اتصال بمعاهد من مدريد حتى موسكو، حيث كان يجري تجارب بحثية في مجال الأمراض النفسية الجسدية وتأثير المعالجة بالأدوية الوهمية، وكانت هذه المجالات وقتها جديدة تمامًا، وكان يسمح لهذه المجموعة الصغيرة من مساعديه الأطباء العرب واليهود بأن يداعبوه ويصفوه بأنه منوم مغناطيسي.*

*الإيحاء حقًّا يشفي كل شيء*

*من القدم إلى الرأس.*

*الإيحاء... إنه يشفي حتى من الفقر أيضًا،*

*إذا كان المرء يؤمن بذلك.*

*هذا النشيد ألفه أحد زملاء حلمي بمناسبة حفل مهرجان تنكري في كازينو الأطباء (59)، وقد رافقه بعزف البيانو رئيس الأطباء بالقسم آنذاك دكتور ماكس ليفكوفيتس، وكان رجلًا قصيرًا يرتدي نظارة ذات إطار دائري وله شعر مجعد يستعصي على التمشيط، ولقد كافح مع طبيب يهودي آخر من أجل أطباء النقابة الحرة الاشتراكيين، وهذا الطبيب الآخر هو ألفريد دوبلين الذي اشتهر بكونه مؤلف رواية "برلين أليكساندر بلاتس" أكثر من شُهرته بسبب مهاراته الطبية.*

*ذات مرة قال أحد زملاء حلمي لطبيب نازي: "إنك تتملق الزعيم وتلعق مؤخرته لدرجة أنه لو لم يكن لديه صمام لفائفي أعوري لكنت خرجت من حلقه!" (60) وكان يقصد صمام الارتجاع بين الأمعاء الغليظة والأمعاء الدقيقة، وهو عضو بالجسم يعرفه حلمي تمام المعرفة لكونه طبيبًا مساعدًا بقسم الأمراض الباطنة الأول (61). وحتى ذلك الحين كان من النادر أن يبدي أي من زملاء الدكتور حلمي في هذا المشفى تعاطفًا مع حركة هتلر وتابعيه، وإن حدث ذلك فإن رد الفعل يكون قاسيًا.*

*إلا أن كل شيء تغير بعد حفلة الضرب الجماعي في الأول من أبريل عام 1933، ففي سجن القبو أجبر بلطجية كتيبة العاصفة (SA) كبير الأطباء دكتور ليفكوفيتس على الزحف على يديه وقدميه والنباح كالكلب وهو يصيح "عاش هتلر!" (62)، ثم ثبتوه إلى الحائط وأطلقوا النار حول ظله كما يفعل لاعبو القذف بالسكاكين في الموالد.*

*بعد ذلك ببضعة أيام عاد ماكس ليفكوفيتس إلى المشفى لإحضار شهادة إخلاء السبيل الخاصة به (63)، ولما رآه أحد زملائه من غير اليهود الباقين في المشفى لم يزد على أن هز كتفيه قائلًا: "كان ليفكوفيتس يهوديًّا، ولهذا مزقوه إربًا" (64).*

*وفي نفس ذلك اليوم كان حلمي أيضًا في المشفى، وكان ملفه الشخصي فوق المكتب، وقد بلغ عمره 31 عامًا، ولكنه لم يُطرد مثل زملائه اليهود، بل تمت ترقيته إلى كبير أطباء، وهي نفس الوظيفة التي كان يشغلها ليفكوفيتس حتى ذلك الوقت.*

*كان حلمي نفسه ذاهلًا متحيرًا لتفريقهم الواضح بينه هو الطبيب المسلم وزملاؤه اليهود الذين كانوا يدعمونه لسنوات عديدة في هذا المستشفى، الذي تزعم بعض الألسنة الشريرة أنه لا يمكن لأحد أن يصبح شيئًا ما فيه ما لم يكن يهوديًّا (65). ولكنه قبل بأن يشاركه النازيون ثمار حملتهم، فحصل على مكان لدراسة الدكتوراة أصبح شاغرًا –كما كان رجال كتيبة العاصفة (SA) يقولون- وكذلك منحة دراسية من جامعة فريدريش فيلهم، ولم يعترض*

*أيضًا عندما طالبه الحكام الجدد بقطع جميع علاقاته مع زملائه السابقين من اليهود (66). ربما نظر إليه رفاق عمره في ذهول، فهو واحد منهم وخرج من بينهم، ولكنه الآن واصل ترقيه الوظيفي من دونهم، وركب موجة النازية إلى أعلى، بينما ألقت بهم هذه الموجة نفسها إلى أسفل. تُرى هل شعر حلمي أيضًا أن ذلك يعد خيانة؟*

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

*كانت هناك قصص حب بين المسلمين واليهود، كما كانت تُعقد زيجات مُختلطة في المسجد، فعلى سبيل المثال تزوج الطالب الخواجة عبد الحميد من حبيبته "لوبا" عام (67) 1928. كما كان هناك يهود اعتنقوا الإسلام، كالفنانين الشابين الزوجين ليوبولد فايس وإلزا شيمان شبيشت (68)، بعد عودتهما من رحلة طويلة عبر الشرق الأوسط، كانا يجلسان بصمت في مترو الأنفاق ويجلس أمامهما رجل أعمال يضع حقيبته على حجره ويحيطها بيديه، وقد رأيا فيه: "الشح والقسوة وانعدام الروح؛ وكل هذه الصفات التي أوشكت أن تقذف بأوروبا المترنحة سياسيًّا بين عامي 1914 و1918 إلى الهاوية". وقررا في هذه اللحظة بالذات -كما قالا فيما بعد- أن يصبحا محمد وعزيزة أسد، عضوين جديدين في الجالية الإسلامية الصغيرة التي تنمو باستمرار في العاصمة.*

*حتى مدير المسجد نفسه في فترة العشرينيات والثلاثينيات كان يهوديًّا اعتنق الإسلام، وقد منحه الشارب الأسود شيئًا من الصرامة، بينما أضفت عليه عيناه الواسعتان نظرةً طفولية مُندهشة. كان دكتور هوجو ماركوس كاتبًا من بروسيا الشرقية، وقد احتفل بنجاح كتابه الأول وهو لم يزل بعد في الرابعة والعشرين من عمره، وصوّر فيه تحت عنوان "تأملات" (69) حلمه بتجديد أوروبا على يد قساوسة الإخاء. وقد اعتنق الإسلام إلا أنه ظل عضوًا في الجالية اليهودية في برلين (70)؛ لأنه لم ير أي تناقض بين هاتين الديانتين (71) فكلتاهما متشابهتان في مذهب الوحدانية المطلقة وعدم نسبة الابن لله وعدم وجود سلطة كنيسة، وقال إنه باعتناقه الإسلام قد أبقى ببساطة على نظرته للعالم وتمكن من الولوج إلى فكر بعض المفكرين الرواد في تاريخ البشرية.*

*وكان هوجو ماركوس، والذي سمى نفسه الآن "حامد" ناشطًا سياسيًّا كذلك، فقد كان يدعو إلى إلغاء المادة رقم 175 البئيسة من قانون العقوبات، والتي كان يتم من خلالها تعقب الرجال المثليين جنسيًّا في ألمانيا، والتي سوف يزيد النازيون من شدتها وصرامتها فيما بعد، وكان يكتب بانتظام في مجلة "الجنسية - Sexus" التي يصدرها عالم الجنس ماجنوس هيرشفيلد، وكان*

*يكتب أيضًا تحت اسم مستعار هو "هانز ألينوز" في مجلة "الدائرة- Der Kreis" الخاصة بالمثليين جنسيًّا (72). وذات مرة رافق صديقه ماجنوس هيرشفيلد إلى معرض فني وأراه صورة له رسمتها الفنانة اليهودية جولي فولفتهورن (73).*

*عندما أتى الكاتب الصحفي رومبيل شتيلتسكين إلى المسجد ذات مرة وسأل عن دور المرأة في الإسلام، أجابه الإمام الدكتور عبد الله باللغة الألمانية قائلًا إن الإسلام هو أول دين يمنح المرأة نفس حقوق الرجل. فأجاب رومبيل شتيلتسكين ساخرًا: "هذا أمر مضحك حقًّا، ففي تركيا لم تصبح المرأة حرة إلا بعد أن رمى "كمال باشا" بالإسلام عرض الحائط"، ولكن في برلين كانوا يرون دينهم الإسلامي بهذه الصورة: منفتحًا، عالميًّا وتقدميًّا.*

*في "المجلة الإسلامية" (Moslemischen Revue) أكد هوجو (حامد) ماركوس على القرابة اليهودية الإسلامية، حيث كتب قائلًا إن فيلسوف عصر التنوير اليهودي باروخ سبينوزا: "كانت أصوله ترتبط بالإسلام (74)، باعتبار أن سبينوزا نضج وترعرع في اليهودية الهولندية، واليهود الهولنديون هم نسل هؤلاء اليهود النازحين من إسبانيا، والذين عاشوا أسعد أيامهم في ظل الحكم الإسلامي في إسبانيا. وقد فتح المسلمون الموريسكيون في إسبانيا لإخوانهم اليهود كنوزهم الفكرية وثقافتهم العلمية والفلسفية الرفيعة. فلا عجب إذًا من وجود ذلك الإرث الفكري حيًّا داخل ذرية أولئك اليهود النازحين إلى هولندا والذين يدين أجدادهم بالفضل فيه للمسلمين".*

*والآن؟ لقد غادر الدكتور ليفكوفيتز ألمانيا بعد سحله متجهًا إلى فلسطين مع زوجته عام 1933 (75)، بينما توجه البروفيسور كليمبيرير إلى الولايات المتحدة الأمريكية. وقد "أصبحت بعض الوظائف شاغرة" (76): بهذا الغموض عبّر حلمي بعد سنوات عندما اضطر للحديث عن ترقيه الوظيفي المفاجئ خلال هذا العام، ربما بشعور من الخزي وربما بقليل من الكذب.*

*وفى الصور القديمة بالأبيض والأسود التي تم التقاطها بين عامي 1933 و1937 يظهر حلمي محاطًا بالأطباء الجدد النازيين الذين ملؤوا سريعًا الفجوة التي تركها الأطباء اليهود، كانوا يقفون جنبًا إلى جنب تعلو وجوههم ابتسامات صفراء مستفزة، مشبكين أيديهم، وقد جاءت الكثير من الوجوه الجديدة بشكل أساسي من صفوف الوحدة الوقائية (SS) وكتيبة العاصفة (SA)، وتحول المشفى "الأكثر يهودية" في المدينة بين عشية وضحاها إلى الأكثر نازية. كان بعضهم يحمل ندبات من أثر المبارزة مثل دكتور هاينرش تايتجه، وهو قائد وحدة في كتيبة العاصفة (SA)، والذي تقلد منصب طبيب مشرف على قسم الباطنة الأول الذي كان يرأسه بروفيسور كليمبيرير بعد أن بات*

*الآن مهجورًا، وكان زميلًا مباشرًا لحلمي الذي تقلد بدوره نفس المنصب في قسم الباطنة الثاني.*

*وبعد ذلك بأعوام قليلة أصبح تايتجه وزيرًا للصحة في حكومة فرانك في بولندا المُحتلة (77)، حيث أصبح مسؤولًا عن المنشآت الصحية في معسكرات تريبلينكا وسوبيبور وماجدانيك للإبادة.*

*في الصورة يرتدي جميع الأطباء نفس المعطف الأبيض، ومع ذلك يبدو التدرج الهرمي واضحًا، حيث يقف الجميع عدا شخص واحد يجلس هادئًا وقورًا هو دكتور حلمي العربي رئيسًا للأطباء النازيين! (78) من المثير للدهشة أن هذا الأمر سار بشكل جيد لفترة طويلة (79). ويتذكر أحد أطباء مشفى موابيت حينها قائلًا: "إن المدير كان يظهر عند المرور على الأقسام وكأنه إله، محاطًا بمساعديه الأصغر سنًّا، الذين كانوا يدونون ما يقول بهمة وحماس داخل كراساتهم" (80).*

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

*(27)- هي الجناح شبه العسكري للحزب النازي. لعبت دورًا مهمًّا في صعود أدولف هتلر إلى السلطة في عشرينيات وثلاثينيات القرن العشرين. (المُراجع)*

*(28)- حوار مع كارلا جوتمان غرينسبان في سبتمبر 2016.*

*(29)- كريستيان بروس/ رولف فيناو الناشران: لا تسئ الفهم. مستشفى موابيت. من 1920 حتى 1933. مركز الأطباء اليهود في برلين. من 1933 حتى 1945 متابعة/ احتجاج وتدمير / برلين 1984 ص 180-184.*

*(30)- تم الاقتباس من نفس المصدر السابق ص 180.*

*(31)- قارن نفس المصدر السابق ص 184.*

*(32)- دكتور كارل شتيرن/ تم الاقتباس من نفس المصدر السابق ص 111 وما بعدها.*

*(33)- تم تسجيل حلمي منذ الخامس من أكتوبر لعام 1922 ببرلين، وفقًا لما جاء في صحيفة الحالة الجنائية المستخرجة من الشرطة في 9 أبريل 1937في برلين. أرشيف جامعة هومبولدت برلين. حقائق طبية 1 (1810-1945) B1 41 1049.*

*(34)- يفان جول، سودوم برلين/ فرانكفورت 1988 (الترجمة الألمانية للنسخة الأصلية/ صدرت في الأصل عام 1929 في باريس) ص 77-79.*

*(35)- سالم عبد الماجد في 4 فبراير 1920 في جريدة الأفكار التي تصدر بالقاهرة، مقتبس من جرهارد هوب، "ما بين الجامعة والشارع"، الطلاب المصريون بألمانيا عام 1849-1945/ في: كونراد شليفاك وغازي شانايك (الناشر)، العلاقات ما بين جمهورية ألمانيا الاتحادية وجمهورية مصر العربية، فورتسبورج 2002 ص 31-41 هنا ص 32.*

*(36)- حوار مع الأستاذ الدكتور ناصر قطبي في مايو 2016 وصور بكؤوس الخمر الأبيض والبيرة في (إبراء) حلمي.*

*(37)- قارن جردين جونكر، التجربة المنسية، وجه القرابة بين الانتخابات الألمانية والإسلامية في فترة ما بين الحربين العالميتين الأولى والثانية، في: كلاوديا شميدت هان (الناشرة)، فهم الإسلام، تحديات لأوروبا/ إنسبروك 2015 ص 35-41، هنا ص 36.*

*(38)- قارن نفس المصدر السابق ص 36 وما بعدها.*

*(39)- قارن سوزانا هيشل "منحة اليهودي الألماني" عن "الإسلام كوسيلة لإعادة التشريق لليهودية"/ في: النقد الألماني الحديث 117 عام 2012، ص 91-107.*

*(40)- خطاب من قائد الحزب النازي -مكتب روزنبرج- إلى رئيس شرطة برلين، في 13 أبريل 1937، قارن مارك دافيد باير "تصادم المسلمين مع النازيين والهولوكوست: أحمدي برلين وتحول يهودي إلى الإسلام هوجو ماركوس، في: الصحيفة الأمريكية التاريخية 120 لعام 2015، النسخة الأولى ص 140-171 هنا ص 160.*

*(41)- نفس المرجع السابق.*

*(42)- قارن نفس المرجع السابق ص 150.*

*(43)- قارن تشاليد ألبرت زايلار شان "الإسلام في برلين وغيرها في المملكة الألمانية". في: استعراض مسلم / أكتوبر 1934 ص 112-119/ هنا ص 115 صورة بورتريه في نفس الإصدار.*

*(44)- خالد ألبيرت سايلر خان ومرصد تريبتو/ قارن نفس المرجع السابق ص 114 وعن السيرة الذاتية لـ زايلارتشان: جردين جوكر "سعي الأحمدية للعملية الدينية" لايدن 2016 ص 146.*

*(45)- دكتور عبد الله، ميدان فيربيلينر، هامش رقم 38 بتاريخ 31 مايو 1934 في رامبيل ستيلتسكين: "سوف تضحك" برلين عام 1934.*

*(46)- مارك دافيد بائر "تصادم المسلمين مع النازيين والهولوكوست": أحمدي برلين والتحول اليهودي إلى الإسلام هودو ماركوس. في: المجلة الأمريكية التاريخية 120 عام 2015/ النسخة الأولى ص 140-171 هنا ص 157.*

*(47)- قارن التقرير المأخوذ من جريدة اليوم. تم إعادتها باقتضاب في: مجلة المسلم في أكتوبر عام 1934 ص 92.*

*(48)- قارن الجريدة الفوسية/ بتاريخ 19 فبراير 1931. الجريدة الألمانية العامة deutsche Allgemeine Zeitung وجريدة برلين روندشاو بتاريخ 19 فبراير 1931.*

*(49)- تقرير من جريدة اليوم. تم إعادتها موجزة في: مجلة المسلم في أكتوبر 1934 ص 92.*

*(50)- حصل حلمي على تصريح مزاولة المهنة كطبيب في 26 نوفمبر 1931. علمًا بأنه قد سبق هذا التاريخ إتمام العام التدريبي وبالتالي فإن هذا التاريخ كان متوقعًا منذ فترة طويلة. قارن الملف الوظيفي الطبي للدكتور حلمي/ أرشيف ولاية برلين B Rep 012 رقم 1376.*

*(51)- فالتر راتناو، "أجمل مدينة في العالم"، الإصدار الحديث هامبورج 2015 ص 20.*

*(52)- قارن حوار مع أ. دكتور ناصر قطبي في مايو 2016.*

*(53)- شهادة للدكتور حلمي من الأستاذ الدكتور جورج كليمبرر في 28 مارس 1933، الملف الوظيفي الطبي لحلمي أرشيف ولاية برلين B Rep 012 رقم 1376.*

*(54)- قارن حوار مع بيتر فلايشمان، حيفا 31 يناير 1984، مقتبس من بروس/ فيناو "لا تسئ الفهم"، ذكر في مكان آخر ص 119.*

*(55)- نفس المرجع السابق.*

*(56)- شهادة للدكتور محمد حلمي من الأستاذ الدكتور فرنر زيبر في 1 أغسطس 1937، السجل الوظيفي الطبي لحلمي، أرشيف ولاية برلين B Rep 012 رقم 1376 B1. 11.*

(57)- شهادة للدكتور محمد حلمي من الأستاذ الدكتور جورج كليمبرر في 31 مارس 1933، السجل الوظيفي الطبي لحلمي، أرشيف ولاية برلين B Rep. 012 رقم 1376.

(58)- قارن تركة أ. دكتور جرهارد هوب، مركز الشرق الحديث، برلين 7/2/066.

(59)- قارن كريستيان بروس، رولف فيناو (الناشران)، „لا تسئ الفهم" ذكر في موضع سابق، ص 117 وما بعدها.

(60)- بروس/ فيناو، "لا تسئ الفهم"، ذكر في موضع سابق ص 180.

(61)- سجل التعويضات الخاص بحلمي، أرشيف مقاطعة برلين لشؤون المواطنين والنظام، مكتب التعويضات LABO برلين، سجل رقم 14500، Bl. C10 M11.

(62)- قارن معهد روبرت كوخ (الناشر)، الأطباء المطاردون في النازية. توثيق لمعرض عن سجن كتيبة العاصفة (SA) بشارع بابي العام، برلين 1999 ص 53.

(63)- قارن بروس/ فيناو: "لا تسئ الفهم"، ذكر في موضع آخر ص 143.

(64)- نفس المرجع السابق ص 181.

(65)- انظر نفس المرجع السابق.

(66)- قارن نفس المرجع السابق ص 187، توكيد تحت القسم من دكتور حلمي للتقديم في مكتب التعويضات، في 9 فبراير 1953، نسخة موثقة في LABO برلين سجل رقم 14500 Bl. C 10-16.

(67)- قارن جردين جونكر، "التجربة المنسية. وجه القرابة ما بين الانتخابات الإسلامية والألمانية في فترة ما بين الحربين العالميتين الأولى والثانية"، في: كلاوديا شميت هان "فهم الإسلام- تحدٍّ لأوروبا"، انسبروك 2015 ص 35 – 1، هنا ص 36 وما بعدها.

(68)- قارن جردين جونكر، سعي الأحمدية للعملية الدينية، لايدن 2016 ص 142- 144.

(69)- قارن مارك دافيد باير "تصادم المسلمين مع النازيين والهولوكوست": أحمدي برلين وتحول اليهودي إلى الإسلام هوجو ماركوس، في: المجلة

*الأمريكية التاريخية 120 لعام 2015، النسخة الأولى ص 140-171 هنا ص 155.*

*(70)- قارن نفس المرجع السابق ص 147.*

*(71)- قارن نفس المرجع السابق ص 156.*

*(72)- قارن مانفريد باكهاوزن (الناشر) حركة أحمدية لاهور في أوروبا، ويمبلاي 2008 ص 114.*

*(73)- قارن بائر: "تصادم المسلمين"، ذكر في موضع آخر ص 156.*

*(74)- هوجو ماركوس "شبينوتسا والإسلام"، في: مجلة المسلم في يناير 1929 ص 8-24، هنا ص 9."*

*(75)- قارن معهد روبرت كوخ (الناشر)، الأطباء المطاردون في النازية، ذكر في موضع آخر ص 53.*

*(76)- أوضح حلمي بعد الحرب ضمن دعوى التعويض الخاصة به أن الوظيفة كانت بمثابة وظيفة طالب أستاذية إلا أن مهنته التي انتهت عام 1937 بشكل غير متوقع كانت لا تزال تبدو مشرقة. لكنه حصل على الدكتوراة فعليًّا عام 1937. أرشيف جامعة هومبولدت ببرلين. حقائق طبية (1810-1945) I، 1049 Bi. 37/41، هنا ص 42.*

*(77)- قارن بروس/ فيناو "لا تسئ الفهم"، ذكر في موضع آخر ص 198.*

*(78)- صورة في أرشيف عائلة القليش.*

*(79)- رومبيل ستيتسكن، أدولف شتاين، " المسلمات الألمانيات": هامش رقم 14 بتاريخ 13 ديسمبر 1928/ في: رومبيل ستيتسكين "نعم كان عليك أن..." برلين 1929.*

*(80)- دكتور كارل شتيرن، مقتبس من بروس/ فيناو "لا تسئ الفهم"، ذكر في موضع آخر ص 112.*

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

# قرابة الدم

*كان غطاء الرأس يتطاير أحيانًا من بعض كبيرات الممرضات من فرط حماسهن الزائد خلال التلفظ بنداء "عاش هتلر". أطباء في زي عسكري ومن فوقه البالطو الأبيض (81) يسرعون في طرقات المشفى وهم "لا يفقهون شيئًا على الإطلاق في تخصصهم" كما كانت تقول بعض الممرضات ساخرةً منهم في السر. لقد جلب الزملاء الجدد "طُرق علاج غريبة" (82) معهم "كثيرًا ما كانت تُعرض حياة المرضى للخطر"، كما يتذكر زميلهم المصري في رعب.*

*كان حلمي يعرف جيدًا أنه عندما جاء أتباع كتيبة العاصفة (SA) في الأول من أبريل من عام 1933 واقتادوا زملاءه اليهود من حجرات المستشفى، كان بودهم أن يطردوه معهم، حيث إن "عملية تطهير هذا المشفى الذي يكاد يكون يهوديًّا صرفًا" (83)، كما ذكر مسؤول شؤون الأفراد في كتيبة العاصفة (SA) "ما كان لها أن تتوقف عند هذا الشخص غير الآري".*

*كان أغلب النازيين يحفظون تلك الجمل التي تتحدث عن العرب في كتاب "كفاحي" وتقول إنهم أقل مرتبة وإن كفاحهم ضد الإنجليز والفرنسيين ما هو إلا تحالف العاجزين، وقد كتب هتلر يقول أيضًا: "كرجلٍ قومي ينظر لقيمة الإنسانية على أسس عرقية، لا أستطيع بناءً على معرفتي بدونية هذه الأمم المسماة بالمقهورة، لا أستطيع أن أربط مصير شعبي بمصيرهم" (84).*

*وقد أثنى المُنظر الأيديولوجي للحزب النازي ألفريد روزينبيرج في كتابه "أسطورة القرن العشرين" بوضوح على إخضاع العرب تحت أقدام الاستعمار الأوروبي.*

*كان لحلمي حبيبة ألمانية تُدعى إيمي إيرنست، وكانت تعمل مُساعدة طبيب، وعندما كانت تسير مُمسكة بذراعه في شوارع برلين، كانت ترمقهما نظرات مُستنكرة. كان يسير دائمًا في أبهى حلة معتمرًا قبعة، وكانت هي تبدو أصغر منه سنًّا بوضوح. وكان يحدث أن يتعرض الطلاب العرب للهجوم عندما يغازلون سيدات ألمانيات، حدث هذا مثلًا للطالب المستمع فؤاد حسنين في توبينجن، عندما شتمه أحد الرجال في مرقص في شهر فبراير من عام 1934 قائلًا له إنه: "أسود وينتمي إلى عرق وضيع و... ولذلك فلا يحق له أن يراقص سيدة ألمانية" (85).*

*أما صديقة حلمي فكانت مرحة ومُنفتحة وتُشع ثقةً بالنفس في سترتها الضيقة وحُليها الغالية، وتحلت أيضًا بالشجاعة في زمن كانت الفتيات يُسحبن*

*فيه في الشوارع حليقات الرؤوس ومن حول أعناقهن يافطة مكتوب عليها "أنا خنزيرة ولا أتعامل إلا مع اليهود".*

*وعندما ألقت الحكومة النازية في عام 1935 بشباكها كي تتصيد ضحاياها، الشباك المتمثلة فيما عُرف باسم قوانين نورنبيرج العرقية، تعجب حلمي من استبعادها للمسلمين؛ ففي حمامات السباحة التي كان يُكتب أمامها سابقًا: "يُحظر دخول ذوي الأعراق الأجنبية" (86)، أصبح النازيون الآن أكثر تحديدًا واكتفوا بكتابة: "يُحظر دخول اليهود". وقد كانت سفارات الدول العربية في برلين في حالة استنفار من قبل، أما الآن فقد اطمأنت قليلًا، وكذلك هدأ حلمي وإيمي، بعد أن كان قد انتابهما الخوف حين بدأ القضاء النازي التهديد بجريمة "تدنيس الدم الآري" وتجهيز الدعاوى الجنائية بهذا الشأن.*

*"قرابة الدم"، هكذا أوضح شراح القوانين في حكومة هتلر، لا تكون في واقع الأمر إلا مع الأوروبيين وعلى أي حالٍ فلن تتجاوز الأتراك، الذين كانوا حلفاء للألمان في الحرب العالمية الأولى؛ ولكن العرب من أمثال حلمي؟ لقد نشرت صحيفة لوطون بتاريخ 14 يونيو من عام 1936 نقلًا عن مصادر حكومية ألمانية سرية أن موظفي هتلر لم يعودوا يعتبرون شعوب الشرق الأوسط والأدنى من "الشعوب المقبولة"، وترجمت جريدة البورصة المصرية هذا الخبر في يونيو من عام 1936 بالبنط العريض قائلةً باستياء إن ألمانيا تُسوي في المعاملة بين المصريين واليهود (87)، ولكن وزارة الخارجية اجتهدت على الفور في تهدئة الأوضاع وأكدت أن القوانين العرقية موجهة فقط ضد اليهود، وأنه ليس ثمة ما يدعو المسلمين للقلق.*

*"قرابة دم" أو "عرق غريب"؛ منطقيًّا كان على النظام النازي أن يصنف العرب تحت واحدٍ من هذين الجانبين، إذ لم تنص قوانين نورنبيرج العرقية على فئة ثالثة، وهكذا اضطر القانونيون النازيون إلى إجهاد أنفسهم حتى الاصطدام التام بمنطق فلسفتهم العرقية، فخلال لقاء جمع مُمثلي الوزارات المعنية في وزارة الخارجية بتاريخ 1 يوليو من عام 1936 (88) قرروا أن العرب، حتى وإن كانت لا تربطهم بالألمان "قرابة دم"، إلا أنهم ينبغي أن يُعاملوا "مثل الأوروبيين". وبذلك تأكد أن العرب من أمثال حلمي لن يلقوا مصير اليهود، وبذلك لم يعد حلمي مُضطرًّا إلى إخفاء علاقته مع إيمي، بل أمكنه أيضًا الترقي في وظيفته، بينما كان زملاؤه اليهود يُلقون في الشوارع ويتعرضون لأسوأ معاملة. لقد اجتهد مُخططو النازية في تشجيع المسلمين من أمثاله على التقارب مع النظام، ولذلك اضطرت الإدارة النازية للمشفى على مضض أن تُرقي حلمي إلى رتبة كبير أطباء وأن تعهد إليه بإدارة أحد الأقسام (89)*

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

*كان المخططون الاستراتيجيون خلف الكواليس، مُخططو الحروب القادمة في أروقة الوزارات، هم من عملوا على كبح جماح العامة. وهذه هي قصة النجاح الوظيفي المفاجئ لحلمي في ربيع العام 1933: فقد ذكر رئيسه عام 1934 أن توظيف حلمي كطبيب في مشفى موابيت "كان أمرًا محمودًا في خدمة المصالح الألمانية في الخارج وفقًا لإفادات وزارة الخارجية والسفارة المصرية" (90). وكان على رجال الوحدة الوقائية (SS)أن يتمالكوا أنفسهم، حتى وإن بدا الفتك به أمرًا مغريًا للغاية.*

*إنها عملية محسوبة بدقة: أرادت القيادة النازية كسب المسلمين في العالم إلى صفها، أراد الرايخ استغلال ما وصفه المُنظر الأيديولوجي للحزب النازي روزينبيرج بـ"الروح العدوانية الشرسة في المراكز الإسلامية التي يغذيها فكر المتعصبين لمحمد". والآن حيث تتوجه أنظار المُخططين الاستراتيجيين النازيين إلى التحضير للحرب وعقد التحالفات الممكنة على أطراف أوروبا، بدا المسلمون شركاء جذابين ضد المنافسين "فرنسا وإنجلترا"، وفي الوقت نفسه كانت الحكومات في باريس ولندن أيضًا تتنافس حول الشرق وبدأت فجأةً على سبيل المثال في تمويل المساجد.*

*صار من غير المرغوب فيه الإشارة إلى أي تشابه بين الإسلام واليهودية، مثلًا فيما يتعلق بقواعد الطعام أو الختان الذي سبق وأن تحدثت عنه صحيفة "دير شتورمر – der Stürmer" بإسهاب، وقد أمر جوبلز وزير دعاية هتلر الصحافة بالنأي عن أي إساءة للمسلمين (91)، بل على الصحافة أن تمدح الإسلام لكونه مُعاديًا للبلشفية والسامية. أما "العداء للسامية"، فلم يعد النازيون يذكرون هذا الوصف حتى لا يثيروا سخط العرب الذين قد يشعرون بأنفسهم مقصودين بكلمة "السامية".*

*لقد أُخذ هذا المُصطلح أساسًا من علم اللغة، حيث تعتبر كل من اللغة العبرية واللغة الآرامية واللغة العربية لغات سامية، ولكن الناس الذين يتحدثون هذه اللغات ليسوا بالضرورة "ساميين"، وبداية من عام 1935 أصبح النظام النازي لا يستعمل إلا تعبير "العداء لليهود"، وتغير اسم الهيئة الحكومية "لمعاداة السامية" إلى هيئة "معاداة اليهود"، وحتى الصحف أمرها جوبلز بمحو كلمة "العداء للسامية" من قاموسها.*

*كانت إيمي أحيانًا تداعب خطيبها حلمي قائلةً له إنه ألماني أكثر من أغلب الألمان (92)، فهو منضبط جدًّا في مواعيده ودقيق جدًّا وجاد بحُلاته السوداء وسيارته المرسيدس، حتى إنه أخذ عن إيمي حبها للكلاب، فنصحته أن يستعمل الاسم الذي كان يُدعى به في شبابه "موهد" بدلًا من اسم محمد*

*(93)، كي لا يضطر أهالي برلين إلى التفكير في القرآن والمسلمين عندما يتحدثون إليه.*

*اسم محمد شائع جدًّا في العالم العربي، لكنه كان اسمًا صعبًا في ألمانيا، له نبرة عاطفية مُبالغ فيها مثل المسيح، وبذلك تحول اسم محمد إلى الاسم المختصر "موهد"، وبعد الحرب صار الاسم أكثر اختصارًا: "مو". وقد اجتهد حلمي في نشر هذا الاسم في كل مكان، فكتبه أسفل أطروحة الدكتوراة، وفي بطاقاته الجديدة وعلى ورق الرسائل، وذلك على الرغم من أن المصالح الحكومية في مصر وألمانيا ظلت تعامله باسم محمد.*

*ربما حاول حلمي بداية الأمر أن يسبح مع التيار السياسي الجديد، لفترة قصيرة على الأقل، فحتى عام 1934 لم ينظر إليه رؤساؤه في المشفى على أنه مصدر إزعاج وسط زمرة المتسلقين من رجال الوحدة الوقائية (SS) وكتيبة العاصفة (SA)، بل رأوا فيه انتهازيًّا مرنًا، وكتبوا عنه: "رغم كونه أجنبيًّا إلا أن السيد الدكتور حلمي أثبت خلال جميع تصرفاته توجهًا مُنحازًا للألمان، حيث شارك بتعاطف في جميع الجهود القومية قدر استطاعته" (94).*

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

*(81)- دكتور كارل شتيرن/ تم الاقتباس من بروس/ فيناو "لا تسئ الفهم"/ ذكر في موضع آخر ص 203/ 206.*

*(82)- توكيد تحت القسم للدكتور حلمي لتقديم طلب التعويض في مكتب التعويضات، في 9 فبراير 1953، نسخة موثقة في: LABO برلين، سجل رقم 14500 Bl. C 10-16.*

*(83)- مكاتبة من الطبيب الصيدلي رات ف. رويتر، مدير الصيدلية، المكتب الرئيس للصحة في 10 نوفمبر 1936، الأرشيف السياسي لوزارة الخارجية رقم 27262.*

*(84)- أدولف هتلر „معركتي" ميونخ 1930 ص 747، مقتبس من كلاوس ميخائيل مالمان ومارتين كوبرز „الهلال والصليب المعقوف (رمز النازية)". المملكة الثالثة، العرب وفلسطين، دارمشتات 2006 ص 44.*

*(85)- جرهارد هوب "ما بين الجامعة والشارع". الطلاب المصريون بألمانيا 1849- 1945"، في: كونراد شليفاك/ غازي شانايك (الناشر)، العلاقات ما بين جمهورية ألمانيا الاتحادية وجمهورية مصر العربية، فورتسبورج 2002 ص 31-41، هنا ص 39 وما بعدها.*

*(86)- نفس المرجع السابق.*

*(87)- قارن دافيد موتاديل، الإسلام وحرب النازية الألمانية، كامبريدج، مساخوسيتس، لندن 2014 ص 57.*

*(88)- قارن نفس المرجع.*

*(89)- مكاتبة الطبيب الصيدلي رات ف. رويتر مدير الصيدليات/ مكتب الصحة الرئيس في 10 نوفمبر 1936، الأرشيف السياسي لوزارة الخارجية R27262 وكذلك شهادة للدكتور حلمي من أ. دكتور زيبر، 1 أغسطس 1937، الملف الوظيفي الطبي لحلمي أرشيف ولاية برلين، B Rep 012 رقم 1376، Bl.11.*

*(90)- الملف الوظيفي الطبي لحلمي، أرشيف ولاية برلين B Rep 012 رقم 1376 Bl. 10.*

*(91)- قارن دافيد موتاديل "الإسلام وحرب ألمانيا النازية"، كامبريدج، ماساكوسيتس/ لندن 2014 ص 58.*

*(92)- حوار مع ميرفت الخشاب في مايو 2016.*

*(93)- حوار مع محمد الخشاب وميرفت الخشاب في مايو 2016.*

*(94)- شهادة للدكتور حلمي من الأستاذ الدكتور شيلينج، 30 سبتمبر 1934. الأرشيف السياسي لوزارة الخارجية R8045.*

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

# حرية المجانين

*كان حلمي يود كثيرًا أن يكون على علاقة طيبة بزملائه، ولكن كيف لهذا أن يحدث مع أمثال هؤلاء الزملاء الجدد؟ لقد صُعق من أفعالهم: فجأة أصبحت أعداد كبيرة من المرضى تلقى حتفها بعد عمليات جراحية روتينية مثل الزائدة والمرارة (95)، وهو الأمر الذي لم يحدث تقريبًا من قبل. لقد كان الجزء الأكبر من الأطباء النازيين الجدد والذين كانوا ينعتون المرضى بالجنون، كانوا هم أنفسهم "على حافة الجنون" (96) كما سخر منهم لاحقًا أحد الأطباء المساعدين.*

*وقد وصفت كتيبة العاصفة (SA) نفسها المعايير التي تم على أساسها توظيف الأطباء الجدد عام 1933: "بعد هدم الحصون الليبرالية الماركسية اليهودية إثر عناء ومقاومة شديدة (97)، فإنه يجب استخدام المحاربين القدماء الذين أحرزوا هذا النصر في جميع مواقع البناء القومية الجديدة... ولكن كثيرًا ما يُخطئ البعض ويطلب من رجال الوحدة الوقائية (SS) في المقام الأول بعض المعارف والخبرات في تخصص معين، وهو طلب لا يُمكن الوفاء به في غالب الأحيان".*

*أما نتائج هذه السياسة فقد ظهرت على الفور جلية واضحة في قسم الجراحة الذي تولى إدارته طبيب لياقة بدنية! وكان مساعده التنفيذي الأبرز كبير الجراحين دكتور كورت شتراوس قائد سرية في كتيبة الحماية وكان "لا يفقه شيئًا على الإطلاق" كما ذكرت لاحقًا إحدى الممرضات.*

*"كان شتراوس لا يتمتع بأي كفاءة كجراح" (98)، ذات مرة خاط لأحد المرضى الأمعاء في جدار البطن (99)، وقد مات المريض بالطبع من جراء ذلك، ومريض آخر كان قد ابتلع ملعقة، ففتح له بطنه بتخدير موضعي، حتى كان المريض يتأوه مع كل قطع وكل وخزة أثناء خياطة الجرح، ولم يقفل دكتور شتراوس أعلى البطن بالخياطة من شدة الألم الذي كان يعانيه المريض واكتفى بالضماد، كان هذا المريض سجينًا سياسيًّا جيءَ به من الحبس الاحتياطي، وفي اليوم التالي عندما أخذ طبيب كتيبة الحماية يعبث في الجرح بالمبضع، قال للمريض: "أرأيت؟ حتى أنت يمكن أن تصبح ألمانيًّا صالحًا!" (100).*

*"إنه إنسان سادي!"، لقد نطق حلمي بذلك، وكان يُعنف الأطباء النازيين الشبان عديمي الخبرة عندما يسيئون معاملة المرضى، "لم يخش الانتقاص من قدر الأطباء الألمان أمام المرضى وطواقم التمريض" (101)، هكذا دوّن أحد الأطباء المشرفين النازيين الذي ازداد حنقه على حلمي. في أزمنة أخرى*

*ربما كانت المستشفيات ملاذًا بعيدًا عن السياسة، مكانًا لا تدخله القضايا الأيديولوجية، ولكن في هذه الأوقات صار حلمي أيضًا مُسيسًا.*

*حتى وإن كان يشعر ببعض الاحترام للنازيين بداية الأمر، إلا أنه سريعًا لم يتبق من ذلك شيءٌ، وإن كان يبحث عما يؤكد شعوره بالتفوق الثقافي على هؤلاء النازيين، فقد وجد الآن المئات من الأدلة والبراهين على ذلك، وكلما زاد نفوره مما يراه من أحداث في المستشفى، ازدادت ذكرياته وضوحًا عن التعايش الإسلامي اليهودي الذي ازدهر هنا حتى عام 1933.*

*كان مجتمع مسلمي برلين مُثقفًا، حتى إن صحيفة (Die Moslemische Revue) الناطقة باسم جمعية المسجد كتبت بفخر، أن كلًّا من ألبرت أينشتاين ومارتين بوبر ومارتين نيمولر وتوماس مان وهيرمان هيسه كانوا ضيوفًا على بعض فعاليات الجمعية من قبل.*

*وقد كتب ألبرت أينشتاين (102) في أحد خطاباته عام 1952: "عندما أحسب (103) وأجد حشرة صغيرة طارت على صفحة الورق أمامي، فينتابني شعور مثل: إن الله عظيم حقًّا، وما نحن وكل علومنا العظيمة إلا قطرات ضئيلة!" وهذا اقتباس وإن لم يكن يعني التماهي، إلا أنه يحمل الكثير من التعاطف والاحترام من ضيف المسجد السابق.*

*كان الجميع يتقاسمون الحنين إلى أيام الشرق القديم والتعايش الجيد نسبيًّا بين الأديان هناك، حتى إن أحد كتاب جريدة die Moslemische Revue كتب ذات يومٍ عن عصر الخلافة في بغداد في القرن العاشر الميلادي حالمًا: "كان المرء يقرأ بشغف كتابات أرسطو وأفلاطون في بغداد (104)، ويمارس الرياضيات والفلك وفق قواعد إقليدس وبطليموس، ويمارس الطب حسب تعليمات أبُقراط وجالينوس". وكان أساتذة حلمي يقدرون هذه الروح أيضًا، فقد احتفلوا في يونيو من عام 1929 في مشفى الشاريتيه بمرور ألف عام على ميلاد الطبيب العربي أبي القاسم (105)، وهو الأمر الذي مثل اعترافًا بتاريخ الضيوف المسلمين، وقد تبرع بالقهوة للحفل صاحب مقهى "موكا" الكبير.*

*كانوا يتقابلون مساءً في الجمعيات الثقافية والمنتديات وحلقات النقاش، وفي أمسيات القراءة والمحاضرات والحفلات الموسيقية، حيث كانت بعض حلقات النقاش محافظة نوعًا ما والأخرى أكثر انفتاحًا وتحررًا، كان بعضهم شديد العداء للسياسات الاستعمارية والبعض الآخر أكثر حذرًا، كانوا يتنافسون وينتقد بعضهم بعضًا، وكانوا يتراهنون على نشر مقالاتهم، حتى كانت عشرات من المجلات الإسلامية تصدر ذلك الوقت في برلين (106)، وكان أغلبها يصدر باللغة الألمانية.*

*وكانوا يتناقشون في نادي الشرق الكائن في شارع كالك رويت، وكانوا يرقصون في المعهد الإسلامي الكائن في 23 شارع فازانين، حتى إن المرء ليظن هذا المعهد ناديًا أوروبيًّا تقليديًّا للرجال، بأرضيته الخشبية على شكل هيكل السمكة ومدفأته الرخام، لولا أن مؤسس هذا المكان أمر -من فرط حماسه- برسم جدرانه بالأهرامات والنخيل والجمال! وكان القيصر بنفسه هو من تبرع لضيوفه العرب بهذا البناء، وبعد ذلك بعشرات السنين ينتقل بيت الأدب في برلين إلى هذا العنوان، وهو لا يزال موجودًا هناك.*

*وفي أيام حلمي كان يجتمع هنا اتحاد الطلاب المُسلمين المُسمى "إسلامية" والذي تأسس في عام 1924 وكان كثيرًا ما يحتج على العروض العرقية التي كانت لا تزال حدائق الحيوان تقيمها وتربح من ورائها أموالاً طائلة، حتى إن أحد المعلقين كتب مستنكرًا: "إن سكان برلين ساهموا بلا شك في أن يفقد الشرقيون الاحترام الذي تربوا عليه أمام الأوروبيين" (107).*

*عندما كان أحد الأطباء النازيين يعيب على زميله دكتور حلمي خلال أي خلاف أنه: "مجرد ضيف لا يُجيد حتى اللغة الألمانية ولا يُمكنه كتابة خطاب صحيح بها" (108)، كان هذا الكلام هراءً محضًا، حيث كان حلمي يكتب خطابات بلغة ألمانية راقية وكان ينطق اللغة عمليًّا بلا لكنة أجنبية (109)، لقد تعلم أيام جمهورية فايمار على يد أشهر العلماء والتحق وقت أن كان في مصر بأفضل المدارس.*

*وكان كل رجال عائلته من الضباط، وكان يعرف لهجتهم الحادة قبل أغلب أطباء كتيبة العاصفة (SA)، وقد حصل على شهادته الثانوية من مدرسة السعيدية الثانوية في الجيزة (110) التي تُشكل مع القاهرة مدينةً واحدة، وهي مدرسة مُعلق بأروقتها صور وزراء وجنرالات كانوا يومًا تلاميذ فيها.*

*لم يكن حلمي يقضي نهاية الأسبوع في "حانات برلين ومطاعمها" (111) الشهيرة التي كان فالتر راتيناو يتندر عليها، بل في صحبة الكتب وفي ملعب التنس في منطقة هوهنتسولردام ببرلين، حيث كان يلتقي هناك بانتظام أمام مسجد فيلمرسدورف الشاب دكتور محمد عبد الله وزوجته الهندية (112).*

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

*تدهورت سمعة مشفى موابيت الجيدة سريعًا في ظل الحكام الجدد، ووصل الأمر لدرجة أن سائقي السيارات التي تنقل المرضى كانوا ينصحونهم بعدم التوجه إلى هناك وبإجراء العمليات الجراحية في أي مكان آخر، حتى في قسم دكتور حلمي، الأمراض الباطنة، انتاب زملاءه تأنيب الضمير واجتهدوا في إرسال مرضاهم إلى مستشفيات أخرى (113) بدلاً من إرسالهم إلى*

*قسم الجراحة في مشفاهم حيث يعمل دكتور شتراوس سيئ السمعة. أما السبب الرئيس في أن هذا الطبيب لا يزال لديه مرضى فكان يكمن في محاكم الصحة الوراثية التي كانت تُرسل الجنائيين من سكان حي موابيت إلى جراح كتيبة العاصفة (SA) لإجراء عمليات التعقيم.*

*أرسلوا ذات مرة فتاة تبلغ من العمر 16 عامًا من إحدى الإصلاحيات، وكُتبت في ملفها ببساطة هذه الحيثيات:*

*"كانت تتسكع مع الشباب حتى وقت متأخر وتتردد على الأسواق السنوية وتتراقص هناك وترتدي ملابس لافتة. وحيث إنها تفتقر إلى التربية الكافية ولا تدرك خلاعة سلوكها نظرًا لتأخر تطورها العقلي، فمن الممكن أن تتطور حياتها الماجنة أكثر وأكثر" (114). وقد سلبها دكتور شتراوس مثل الكثيرين غيرها قدرتها على الإنجاب بتكليف من الدولة. وفي الفترة بين عام 1934 وعام 1935 تُوفي نحو 400 مريض بعد هذه العملية الجراحية في هذا المشفى فقط (115).*

*ولم يُخف حلمي استياءه، بل جعلهم ينقلونه من قسمه تجنبًا للصدام مع مديره الجديد الساذج عضو الحزب النازي هيلموت دينيش، وانتقل إلى "جنود تسين" كما كان يُطلق على الأطباء الذين يعملون تحت إدارة الأستاذ الدكتور فيلهيلم تسين، وهو سويسري ليبرالي التوجه. ولكن سرعان ما شغل أحد أعضاء الحزب النازي –فيرنر زيبر- وظيفة دكتور تسين، فعاودت مشاكل حلمي الظهور مُجددًا، وقد اشتكى النازي زيبر من حلمي قائلًا: "بعد فترة تعاون سلس بداية الأمر بدأت ترد بعض الشكاوى من أطباء آخرين من تكبره وسلوكه العنيد وغير المتعاون مع زملائه" (116).*

*وقد اجتهد مديرو حلمي النازيون في التخلص منه، ففي البداية وصفه مديره دينيش بأنه ذو "طبيعة شرقية جدًّا" (117)، الأمر الذي لم يكن إطراءً له، وكتب يقول: "إن السيد حلمي بوصفه شرقيًّا لم يتمكن من الاعتياد على النظام والانضباط والرؤية المهنية للأطباء الألمان، لذلك لا نرى من اللائق أن يُعهد إليه بعلاج المواطنين الألمان" (118).*

*ثم تعرف حلمي على مُصطلحٍ جديدٍ، لافتة عنصرية أخرى؛ فحتى يتمكنوا من تفريق المسلمين عن اليهود، ابتكر علم الأعراق النازي المزعوم كلمةً مخصوصة للمسلمين تقابل كلمة "الساميين" التي تُطلق على اليهود.*

*كان لنبي الله نوح ثلاثة أبناء، هم سام وحام ويافث، ومنهم خرج وفقًا لسفر التكوين جميع البشر. وقد نقل أحد زملاء حلمي الشباب وواحد من حاملي البيادات المتحمسين هذا المصطلح الجديد "حاميون" إلى المستشفى: حيث*

*أخذ ينقل التماسًا بين الأطباء دون علم رئيسه وطلب من زملائه التوقيع عليه، وقد ورد في هذا الالتماس أنه "لم يعد مقبولًا أن يقوم دكتور حلمي –الحامي- بعلاج النساء الألمانيات".*

*وهكذا أخذت الأمور تزداد صعوبة على حلمي الذي بدأ صعوده مبشرًا بالنجاح بداية الأمر، وفي ذلك الوقت عام 1936 تلقى اتصالًا من جدة آنا تاجرة الفاكهة في ميدان أليكساندر، وكان معلومًا في ذلك الوقت بوضوح أن هذا الطبيب "الحامي" يعالج مرضى يهودًا مُجددًا –دون علم زملائه المعادين للسامية بشدة، وكان حلمي يُفرغ نفسه لهؤلاء المرضى، ويتوجه إليهم في سيارته إلى منازلهم– خلال وقت العمل الرسمي طبعًا، حتى إنه كان يأتي لزيارة عائلة آنا الآن بشكل مُنتظم.*

*لم يحصل حلمي على امتيازاته كطبيب مُشرف إلا لأن النازيين كانوا يأملون منه -وهو الرجل المسلم- أن يتحالف معهم ضد اليهود، إلا أن حلمي تحايل على هذا المطلب واستخدم امتيازاته بشكل مُختلف تمامًا، كي يساعد اليهود. كان ذلك انتقامًا خفيًّا من زملائه رجال الوحدة الوقائية (SS) في المشفى، فلم يُرد أن ينالوا منه وهو من يفوقهم جميعًا، كان الانتقام وغريزة البقاء الثقافي هما ما جعلا من حلمي نصيرًا لليهود.*

*ولم يكن حلمي يُساعد مرضاه اليهود في التغلب على آلامهم الجسمانية ومشاكل التنفس وحسب، بل أيضًا في التحايل على القوانين النازية، مثلًا بأن يُخفي ممتلكات ثمينة بعيدًا عن أعين الدولة التي كانت دائمًا ما تبتكر ضرائب جديدة لفرضها على اليهود. فهرّب مبلغ 200 جنيه إسترليني لجدة آنا إلى خارج البلاد (119)، واحتفظ لها مرةً بمبلغ 800 دولار ومرةً أخرى بقطعة ألماس صغيرة (120).*

*وعندما كان زملاء حلمي النازيون يُحاولون الضغط عليه، كان يبادلهم التهديد قائلًا إنهم لا يستطيعون طرده من وظيفته كطبيب مُشرف (121)، وإلا سيتعرض الأطباء الألمان العاملون في مصر لأعمال انتقامية، وفي الحقيقة كانت وزارة الخارجية الألمانية لا تزال تساند حلمي وتحاول استرضاءه، ربما لأنهم كانوا يخشون فعلًا من انتقام المصريين، ولكن المؤكد أنهم كانوا يفضلون التودد إلى المسلمين بدلًا من إغضابهم. ومهما بالغ حلمي في إثارة زملائه النازيين، كانت وزارة الخارجية الألمانية تحميه، وبالتأكيد بدأ حلمي يُدرك تدريجيًّا ما قد يعنيه هذا بالنسبة إليه.*

*كانت إدارة المشفى تود التخلص من حلمي اليوم قبل الغد (122)، إلا أن الوزارة أصدرت توجيهاتها بالإبقاء على الطبيب المُسلم نظرًا "لاعتبارات سياسية خارجية" (123)، وحتى عندما انتشرت في المشفى تلك القائمة من*

*التوقيعات التي تقول إنه لم يعد مقبولًا أن "يقوم دكتور حلمي –الحامي- بعلاج النساء الألمانيات" (124)، أعلنت الوزارة بجلاء أن العلاقات الجيدة مع العالم الإسلامي لها الأولوية.*

*رُبما كان حلمي يبالغ قليلًا عندما تباهى بعد الحرب بمدى "حرية المعاتيه" التي انتزعها لنفسه، حتى إنه حكى ذات مرة قائلًا: "لقد قلت عن هتلر إنه يعاني من الشلل" (125)، كما قال إنه "وصف جورينج أمام أطباء كتيبة العاصفة (SA) بأنه مُدعٍ ثرثار مغرور قاصر النظر"، وقال إنه لم يكن يرد على مقولة "عاش هتلر" إلا بصباح الخير، سواء في طرقات المشفى أو في حجرة الكشف. وزعم حلمي بخُبث أنه لم يكن هناك سوى استثناءٍ واحدٍ فقط، ألا وهو عند "دخول المرحاض" (126)، فعندها فقط كان حلمي كرجل مُسلم دائمًا ما يُحيي الزعيم.*

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

*(95)- قارن بروس/ فيناو، "لا تسئ الفهم"/ ذكر في موضع آخر ص 206.*

*(96)- نفس المرجع السابق ص 221.*

*(97)- كتيبة العاصفة (SA) كضمان للمستقبل، في: رجل كتيبة العاصفة (SA)، للعام الثالث، 17 فبراير 1934، ص 1 وما بعدها، مقتبس من بروس/ فيناو: لا تسئ الفهم"، ذكر في موضع آخر ص 194 وما بعدها.*

*(98)- بروس/ فيناو: "لا تسئ الفهم"، ذكر في موضع آخر ص 206 وما بعدها.*

*(99)- قام بالخياطة لأحد المرضى عن طريق الخطأ.*

*(100)- نفس المرجع السابق.*

*(101)- مكاتبة من الأستاذ الدكتور هلموت دينيش إلى نقابة الأطباء ببرلين، 13 ديسمبر 1937، الأرشيف السياسي لوزارة الخارجية .R27262 حول شخصية دينيش قارن أيضًا كلاوس دورنر/ أنجيليكا أبينجهاوس/ كارستن لينه (الناشر)، حركة الأطباء بمدينة نورنبرج 1946/ 47، ميونخ 2000 ص 88.*

*(102)- قارن بيتر شوت "جلوريا من بروسيا والعلم الأخضر للرسول"، في: الشجاعة. منتدى الثقافة والسياسة والتاريخ 362 1997 ص 40-51، هنا ث 50.*

*(103)- كارل زيلينج (الناشر)، العصر المضيء والعصر المظلم، في: مذكرات أينشتاين، زيوريخ 1956 ص 55.*

*(104)- زكي علي، الثقافة العربية في القرن العاشر، في: مجلة المسلم، يناير 1934 ص 18.*

*(105)- قارن جرهارد هوب، الأمر ذو أهمية بالغة. الطلاب العرب ببرلين. مخطوط في تركة الأستاذ الدكتور جرهارد هوب، المركز الحضاري للشرق، برلين 07.08.005 ص 20. 07.*

*(106)- قارن مارك دافيد بائر، "تصادم المسلمين مع النازية وهولوكوست: أحمدي برلين وتحول اليهودي للإسلام هوجو ماركوس"، في: المجلة الأمريكية التاريخية 120 لعام 2015، الإصدار الأول ص 140- 171 ص 148.*

*(107)-في: فريتس كونمان، ب فيليش، ل. م. جولدبرجر (الناشر)، برلين والعمل بها: التقرير الرسمي لمعرض المهن الحرفية ببرلين 1896، برلين 1896 ص 867-873 هنا ص 871، مقتبس من عائشة أحمد „الرؤية فخ". الحضور العربي؛ رؤية الشعوب والقضية الاجتماعية للآخرين في ألمانيا. (1896/1927) في: يوزي برونر/ شاي لافي (الناشر)، اليهود والمسلمين بألمانيا. الحق والدين والهوية، في: الإصدار السنوي لتل أبيب عن التاريخ الألماني، جوتنجن 2009 ص 81-102 هنا ص 96.*

*(108)- مكاتبة من أ.دكتور هلموت دينيش لنقابة الأطباء ببرلين، 13 ديسمبر 1937، السجل السياسي لوزارة الخارجية R27262.*

*(109)- هكذا روت المساعدة الطبية لحلمي والتي كانت تعمل معه بعد الحرب آنذاك لطبيب برلين دكتور كارستن مولدر.*

*(110)- حوار مع أ.دكتور ناصر قطبي في مايو 2016.*

*(111)- فالتر راتيناو، أجمل مدينة في العالم، الإصدار الحديث، هامبورج 2015، ص 26.*

*(112)- رومبيلستيلتسكين (أدولف شتاين)، د عبد الله من ميدان فيربيلينر، هامش رقم 38 بتاريخ 31 مايو 1934، في: رومبيلستيلتسكين، "سوف تجد ما يضحكك" برلين 1934.*

*(113)- قارن: كريستيان بروس/ رودولف فيناو (الناشر) "لا تسئ الفهم"، ذكر في موضع آخر ص 207.*

*(114)- نفس المرجع السابق. ص 215 وما بعدها.*

*(115)- نفس المرجع ص 210.*

*(116)- مكاتبة من أ.دكتور فرنر زيبر إلى مدير المستشفى في 12 ديسمبر 1937، الأرشيف السياسي لوزارة الخارجية R27262.*

*(117)- مكاتبة من أ.دكتور هلموت دينيش إلى نقابة أطباء برلين بتاريخ 13 ديسمبر 1937، الأرشيف السياسي لوزارة الخارجية R27262.*

*(118)- توكيد تحت القسم للدكتور حلمي للتقديم في ملف التعويضات بتاريخ 9 فبراير 1953، نسخة موثقة في مكتب شؤون المواطنين والنظام ببرلين، مكتب التعويضات (LABO برلين) سجل رقم 14500 B1. C 10-16.*

*(119)- تقرير بقلم يولي فير، بتاريخ 26 سبتمبر 1945، أرشيف ياد فاشيم، M31/12582.*

*(120)- عبقري صغير، خطاب من سيسيل رودنيك إلى آنا بتاريخ 25 أكتوبر 1948، أرشيف عائلة جوتمان.*

*(121)- ملاحظة من مبعوث الشرق لوزارة الخارجية فرنر أوتو فون هنتيش بتاريخ 7 ديسمبر 1939، الأرشيف السياسي لوزارة الخارجية، R27262.*

*(122)- مكاتبة من أ.دكتور هلموت دينيش إلى نقابة الأطباء ببرلين،، بتاريخ 13 ديسمبر 1937، الأرشيف السياسي لوزارة الخارجية R27262..*

*(123)- مكاتبة من أ.دكتور فرنر زيبر إلى إدارة المستشفى بتاريخ 12 ديسمبر 1937، الأرشيف السياسي لوزارة الخارجية R27262.*

*(124)- قارن توكيد تحت القسم للدكتور حلمي عند تقديمه لملف التعويضات بتاريخ 9 فبراير 1953، نسخة موثقة في LABO برلين، سجل رقم 14500 B1. C 10-16.*

*(125)- نفس المرجع.*

*(126)- نفس المرجع.*

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

# الاعتقال فورًا

كان تاجر التبغ اليهودي ماركوس ليسر يملك متجرًا في الطابق الأرضي من المنزل الذي يسكن فيه حلمي في 7 شارع كريفيلدر، وفوقه تسكن عائلة كونيتسر (127)، جيرترود وآرثر مع ابنتيهما أورزولا وروت، بجانب شقة حلمي مباشرةً، وكان هذا المنزل ملكًا لتاجر النبيذ اليهودي فايبوش كلاج وزوجته كارولينا من مدينة ليمبيرج، وكان النازيون يستخدمون هذا المنزل فيما يُعرف بـ"إجراءات التكثيف"، أي كانوا يُسكنون فيه أولئك الذين انتُزعت منهم مساكنهم في أماكن أخرى؛ إيرنا مندلسون على سبيل المثال، وهي امرأة غير متزوجة من كونيجسبيرج اغتصبت الدولة شقتها في شارع ألتونر، أو جيرترود بوبرت، ابنة صانع قبعات من برينتسلاور بيرج، طلقها زوجها الموظف الذي لم يكن يهوديًّا مع بداية صدور القوانين العرقية في عام 1935، مما أفقدها أي حماية. وقد ضاق المنزل بساكنيه، وكان حلمي هو الوحيد الذي لم يُسكِنوا معه أحدًا، حيث كان يجب فقط على اليهود استقبال أمثالهم من اليهود. وهكذا عايش حلمي من البداية كيف انقلبت حياة اليهود رأسًا على عقب.

لم يُحدث ذلك دويًّا كبيرًا، ولم يُطرد، كل ما حدث هو تحول بسيط في تروس البيروقراطية؛ فقد نجح زملاء حلمي من رجال العاصفة وأعضاء الحزب النازي في مساعيهم للتخلص من حلمي، فقد انتهى عقد حلمي بتاريخ 30 يونيو من عام 1937 ولم يُجدد. ربما كان هو أكثر منهم ذكاءً، لكنهم كانوا أكثر عددًا. وتوجب على حلمي من الآن وصاعدًا أن يسعى إلى رزقه بنفسه، فبدأ يستقبل المرضى بشكل خاص في شقته الكائنة في شارع كريفيلدر فوق محل تاجر التبغ ليسر وبجوار عائلة كونيتسر والسيدة مندلسون من شارع ألتونر.

صار حلمي "عمليًّا يمارس مهنته سرًّا" (128)، كما ذكر لاحقًا، تساعده في ذلك صديقته الألمانية إيمي، وكما استقبله الأطباء اليهود في الماضي في مجتمعهم وهو الطبيب المُسلم، أصبح بإمكانه الآن أن يرد الجميل ويحمي بدوره فتاةً يهودية، بإعطائها وظيفة مساعدته في هذا البيت "اليهودي".

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

كانت آنا، تلك الفتاة من ميدان أليكساندر، قد بلغت الرابعة عشرة من عمرها وتحلم أن تكون ممرضة (129)، وكانت تعرف مأوى للأطفال في إحدى ضواحي المدينة، كانت تتعلم فيه أيضًا صديقتها ريجينا براور التي قُتلت لاحقًا، ولكن هذا المأوى أغلقه البوليس السري، وأخبرت الجالية اليهودية والدة آنا

أن باقي المؤسسات التعليمية الأخرى ينتظرها نفس المصير. وكتبت آنا تتذكر تلك الأيام بعد الحرب: "ستكون السيرة الذاتية بالغة الطول كي نسرد فيها بالتفصيل جميع صور الاضطهاد والإذلال الذي تعرضنا له -نحن الأطفال اليهود- داخل المدرسة وخارجها" (130).

اضطرت آنا إلى الانتقال إلى مدرسة يهودية (131) كان فناؤها مُحاطًا بسور وتُطل على الجانب الخلفي من المعبد اليهودي في شارع Oranienburger Straße وبها قبة ذهبية مُحلاة بالنقوش على الطراز الأندلسي، كانت في الواقع مدرسة جميلة، ولكن بعد بداية عامها الدراسي الثامن والأخير مُنذ التاسع من نوفمبر من عام 1938 كان الجزء الداخلي مُتفحمًا، وأصبح أي زائر داخل المبنى مُواجهًا بكتل معدنية سوداء وزجاج مُحطم.

لقد أحب فيها حلمي مُنذ البداية طبيعتها الصافية العملية التي تختلف تمامًا عن والدتها وجدتها، سيدتي الأعمال القلقتين. كانت آنا يقظة وماهرة، فعلمها حلمي أن تنظر عبر الميكروسكوب وتفحص عينات الدم والبول. وكذلك لم يُمثل كون آنا كيهودية غير مسموح لها بمعالجة الآريين عائقًا أمام حلمي (132)، فلم يكن يأتي إلى شقة حلمي على أي حال سوى المرضى الذين لا يمكنهم الذهاب إلى أطباء آخرين، وكان أغلب هؤلاء من اليهود.

وذكرت آنا بعد الحرب أن حلمي ساعد أيضًا عائلة كونيتسر وعائلات أوبينهايمر وبيناتسكي (133) الذين أتوا إليه خصيصًا من شارع كلوبشتوك Klopstockstraße am Tiergarten الكائن عند حديقة الحيوان، أما التفاصيل فغامضة بعض الشيء: فهل ساعدهم فقط بوصفه طبيبًا أم ساعدهم أيضًا في الهروب من إجراءات ملاحقة اليهود عبر أعمال غير قانونية كما ألمحت آنا إلى ذلك بعد الحرب؟ (134)

ولكن من الواضح أن حلمي انتزع لنفسه حتى كطبيب مستقل مساحات حرية مثيرة للدهشة تجاه النازيين، تمامًا كما كانت الحال في مشفى روبرت كوخ. ذات مرة ترك آنا وحدها في العيادة وذهب متخايلًا إلى وزارة الخارجية الألمانية في شارع فيلهيلمس شتراسه وصعد السلم إلى الطابق قبل الأخير حيث دخل على مبعوث الشرق فيرنر أوتو فون هينتيش، وهو من الطبقة القديمة من النبلاء المتعجرفين.

واشتكى له قائلًا إنه لمن المُشين أن يوقفوا مسيرته المهنية على هذا النحو، وطلب منه السماح له بالتواصل مع أحد الأخوين هيس (135)، يعني إما نائب هتلر رودولف هيس أو على الأقل أخوه الأصغر ألفريد الذي كان يعيش في القاهرة بوصفه نائب مدير الهيئة الخارجية في الحزب النازي.

*ثم سأله مبعوث الشرق المشدوه إن كان صحيحًا ما سمعه من البعض في مشفى موابيت أن حلمي يشيع عن نائب هتلر رودولف هيس أنه أحمق؟ فأجاب حلمي: لا إطلاقًا. وقال إنه لم يقل: "إن هيس أحمق وإنه كان طالبًا بليدًا ولم يُطلق عليه لقب مُغفَّل" (136)، بل إن كل هذا مجرد سوء فهم، وهو يريد الحديث مع هيس تحديدًا حول هذه الأمور.*

*هل استغرب رجال الوزارة من غرور هذا الشاب المصري -الذي لم يكمل بعد عامه الأربعين والمتخصص في أمراض الكُلى والحالب (137)- إلى الحد الذي يجعله يطالب بمواعيد في الوزارة؟ هل غلب عليهم الاعتقاد أنه ربما كان هناك سبب حقيقي يجعله يتصرف بهذه الثقة بالنفس وهذا التحدي؟ هم أنفسهم ربما لم يعرفوا ذلك على وجه التحديد. لقد كانت العلاقات مع العالم العربي عمومًا ومع مصر المحمية البريطانية خصوصًا بدأت تتحرك، لا سيما بعد اندلاع الحرب، كما لم يكن الدبلوماسيون النازيون يعرفون شيئًا محددًا عن أسرة حلمي من الضباط في القاهرة؛ عن والده الرائد أو إخوته الضباط.*

*لقد نشأ هيس نائب هتلر وأخوه حقًّا في مصر، وقضيا سنوات عمرهما الأولى في مدينة الإسكندرية الساحلية (138) حيث كان أبوهما تاجرًا ألمانيًّا، وكانت المدينة "جنةً صغيرة" كما ذكر هيس لاحقًا. رُبما تقابل هيس مع دكتور حلمي مصادفةً في برلين، فقد كان هيس نائب هتلر موهومًا بالمرض ودائم التردد على مشفى موابيت الذي كان قد أضحى المشفى المُفضل للنخبة النازية، وكذلك كان هيس يتحدث العربية قليلًا، فقد كان والدا الأخوين هيس يتضايقان في الماضي من بعض الشتائم التي التقطها ابناهما من الخدم في الإسكندرية.*

*ومع أن حلمي أكد أن أصحاب الألسنة الشريرة هم فقط من يتهمونه بأنه زعم مرافقة هيس في المدرسة في مصر وأنه وصفه "بالمُغفَّل أو ما يشبه ذلك" (139)، ولكن من ناحية أخرى: ما الفرق الذي سيحدثه كون حلمي سخر من هذا الوزير أو ذاك من وزراء هتلر، سواء من هيس الطالب البليد أو من هتلر المشلول أو جورينج المُدعي الثرثار؟ (140) لم يكن حلمي مُصممًا على مساعدة أصدقائه ومرضاه وجيرانه اليهود وحسب، حتى بالاحتيال على القوانين كما ظهر، بل كان يتحدث أيضًا علنًا بلا خجل وفي الأغلب أيضًا بلا خوف بعد أن كانت وزارة الخارجية تحميه لسنوات، كان يتحداهم وكأن أحدًا لا يستطيع أن يمسه بسوء، ربما ترك ذلك انطباعًا قويًّا لدى بعض النازيين، وقد نجح حلمي سليل الأسرة العسكرية المتنفذة أن يتعامل معهم بالطريقة المناسبة، حتى إن مبعوث الشرق فيرنر أوتو فون هينتش ذُهل من كلامه ولم يُعلق عليه.*

*ولكن تلك لم تكن الحال مع الأخوين هيس. لقد استشاط ألفريد هيس غضبًا وأكد لبوليس برلين السري بحزم أن سخرية هذا المصري المدعو حلمي ليست شيئًا مُفرحًا على أي حال (141) وأنه "على استعداد في أي وقت إلى اتخاذ موقف فوري تجاه هذه المسألة متى تطلب الأمر" (142). وكذلك الأخ الأكبر نائب هتلر بدأ يهتم "شخصيًّا" (143) بالطبيب الخاص دكتور حلمي حسب ما دونته وزارة الخارجية، فجاء في مُذكرة لوزارة الخارجية أنه "بناءً على رغبة خاصة من نائب الزعيم يجب منع محمد حلمي من مواصلة العمل في عيادته الخاصة" (144).*

*كان الأخ الأصغر ألفريد هيس قد عاد لتوه على عجلٍ إلى برلين، كان ذلك في سبتمبر من عام 1939، حيث اعتقله البريطانيون لبضعة أيام عقب اندلاع الحرب مباشرة، وتمكن بعدها من الهروب، وفي ألمانيا صادف حلمي في الشارع، وانفجر غيظًا بعدما ألقى عليه هذا الأخير التحية؛ إذ كيف يُعقل أن يُسجن الألمان في القاهرة بينما يُسمح لهذا الشرقي الوقح بالتجول بحرية في شوارع برلين؟ كيف يُعقل ذلك؟ (145) هكذا عنَّف هيس وكيل وزارة الخارجية إيرنست فون فايتسزيكر (146)، والذي أصبح ابنه رئيسًا لألمانيا فيما بعد. حدث ذلك يوم السبت، فاتصل فايتزيكر بمبعوث الشرق هينتش في منزله واستدعاه إلى الوزارة على وجه السرعة. وبعد ربع ساعة اجتمعا سويًّا وقررا الرد على اعتقال بعض المواطنين الألمان في ثلاث دول خاضعة للحماية البريطانية هي مصر وفلسطين وجنوب إفريقيا "باعتقال عشرة من مواطني كلٍّ من هذه الدول المقيمين في ألمانيا على الفور" (147).*

*وتقرر أن يكون حلمي ذلك الأجنبي الوقح الواثق من نفسه صاحب حكايات السخرية الغريبة عن رودولف هيس وأيامه المدرسية أول المعتقلين، وقد خُتمت ورقة هذا القرار بخاتم "عاجل جدًّا" (148).*

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

*(127)- يرجع الفضل في إنقاذ قصة حياة سكان المنزل المؤقتين من النسيان إلى الزوجين سابينة مولر و دكتور كارستن مولدر. حيث أدت بحوثهما التي لم يتم نشرها إلى نقل أحجار العثرة أمام شارع كريفلدر رقم 7. حيث تم عرض النتائج عند كشف الستار عن أحد الملصقات التذكارية لحلمي بتاريخ 4 يوليو 2014 واستطاع المؤلف مشاهدتها.*

*(128)- قارن توكيد تحت القسم لدكتور حلمي لتقديم ملف التعويضات بتاريخ 9 فبراير 1953، نسخة موثقة في LABO برلين، سجل رقم Bl. C 14500 10/16.*

*(129)- سجل التعويضات الخاص بآنا بوروس، LABO برلين سجل رقم Bl. E 5 52472.*

*(130)- سيرة ذاتية كتبتها آنا بخط يدها بتاريخ 1 نوفمبر 1945. أرشيف ياد فاشيم 12582 /31 M.*

*(131)- أوضحت آنا بعد الحرب أن المدرسة اليهودية الموجودة بشارع أوجوست 11- 13 التي تم تسجيلها بها أغلقت عام 1939 أو 1940، إلا أن العمل المدرسي لم ينتظم بها إلا في 30 يناير 1942، قارن يورج هـ فيرز: من حارة هايدروتر إلى روزنك. المدارس اليهودية ببرلين 1712-1942 برلين 1993 ص 118. عن هذه المدرسة قارن أيضًا ريجينا شير أهاوا، المنزل المنسي، برلين 1993 ص 9 والملحقات.*

*(132)- قارن فقرة 2 مقطع 2 للائحة الثامنة لقانون مواطنين المملكة بتاريخ 17 يناير 1939 (RGB1. I ص 47): يُسمح لليهود الذين يعتبرون ضمن القوى المساعدة في الرعاية الصحية (الفقرة الأولى، المقطع الأول لقانون لائحة رعاية المرضى بتاريخ 28 سبتمبر 1938 RGB1.I ص 1309) بممارسة وظيفتهم تجاه اليهود فقط أو داخل مؤسسات يهودية.*

*(133)- السيرة الذاتية المكتوبة بشكل شخصي لـ آنا بتاريخ 1 نوفمبر 1945، أرشيف ياد فاشيم، M. 31/12582، لم يذكر حلمي بنفسه أيًّا من هذه الأسماء الثلاثة في السير الذاتية التي كتبها بعد الحرب وفي مذكراته. وعلى الأغلب فإن المقصود بالزوجين "كونيتسر" هنا هم "أرون أرتور" و"جرترود كونيتسر" اللذين كانا يسكنان بشارع كريفيلدر رقم 7- كما روى حلمي. وقد تم ترحيلهما في 12 يناير 1943 إلى معسكر أوشفيتز وتمت إبادتهما هناك. قارن: المعهد المركزي للبحوث الاجتماعية بجامعة برلين الحرة (الناشر)، كتاب تذكاري لبرلين عن الضحايا اليهود للنازية، برلين 1995. أما الاسمان "بيناتسكي" و "أوبنهايمر" فلم يردا في الكتاب.*

*(134)- السيرة الذاتية المكتوبة بشكل شخصي لـ آنا بتاريخ 1 نوفمبر 1945، أرشيف ياد فاشيم 31/12582 M.*

*(135)- قارن توكيد تحت القسم لحلمي للتقديم بسجل التعويضات بتاريخ 9 فبراير 1953/ نسجة موثقة في LABO برلين، سجل رقم 14500، Bl. C 10- 16.*

*(136)- قارن نفس المرجع.*

(137)- قارن شهادة للدكتور حلمي من.دكتور شيلينج بتاريخ 30 سبتمبر 1934، الأرشيف السياسي لوزارة الخارجية R 8045.

(138)- كورت باتسولد/ مانفريد فايسبيكر، رودولف هيس. رجل من جهة هتلر، لايبزيج 1999 ص 17.

(139)- ملف التعويضات لحلمي، LABO برلين، سجل رقم Bi. C5 14500. أما الادعاء بزيارة جماعية للمدرسة فلم يكن في الواقع سوى إشاعة. كان حلمي والإخوة هيس متباعدين لعدة سنوات كما أنهم كانوا يعيشون في مدن مختلفة بمصر، حيث كان يعيش الأخوان هيس في الإسكندرية بينما عاش حلمي في الجيزة وطنطا والقاهرة، كما جاء في الحوار مع نصر قطبي وأحمد فرغلي في مايو 2016. وعلاوة على ذلك فقد التحق رودولف هيس لمدة عام واحد فقط بمدرسة ابتدائية إنجيلية في مصر قبل أن يتم تدريسه من قبل مدرسين خصوصيين، قارن: بيتسولد/ فايسبيكر، رودولف هيس، ذكر في موضع آخر ص 17. كما أن ما أكده حلمي بأنه لم يكن هو الذي أفشى هذه الإشاعة في العالم كله وإنما شخص ما أراد أن يؤذيه شيء معقول ويمكن تصديقه. حيث أكد حلمي ذلك أيضًا بعد الحرب حينما تم وصفه بأنه مجرد ساخر معادٍ للنازية وهذا بدوره كان شيئًا مفيدًا له.

(140)- قارن الفصل السابق.

(141)- مكاتبة من منظمة الشؤون الخارجية AO لحزب النازية إلى رئاسة شرطة برلين بتاريخ 9 نوفمبر 1939 وكذلك مدونة وزارة الخارجية بتاريخ 16 نوفمبر 1939، الأرشيف السياسي لوزارة الخارجية R27262.

(142)- نفس المرجع.

(143)- مدونة وزارة الخارجية بتاريخ 16 مايو 1941، الأرشيف السياسي لوزارة الخارجية R29863.

(144)- مدونة وزارة الخارجية بتاريخ 17 نوفمبر 1939، الأرشيف السياسي لوزارة الخارجية R27262.

(145)- قارن فرنر أوتو فون هنتيج "حياتي"، "سفر في مهمة رسمية" غوتنجن 1962 ص 332.

(146)- قارن نفس المرجع ص 332 وما بعدها.

(147)- نفس المرجع. مكاتبة وزارة الخارجية بتاريخ 30 سبتمبر 1939 (أسرعوا، الأرشيف السياسي لوزارة الخارجية R27262) وكذلك مدونة القائد

*العام لسلطة الدفاع بتاريخ 10 اكتوبر 1939، الأرشيف السياسي لوزارة الخارجية R27262: تم احتجاز مجموعة من المصريين في ألمانيا كنوع من رد الفعل والانتقام لما حدث من احتجاز ألمان بمصر. وطلب منهم التأكد من مسألة إذا ما كان غير مقصود إطلاق سراح المصريين المحتجزين واحتجاز إنجليزيين بدلًا منهم. ومما يؤيد هذا الإجراء أن القبض على الألمان بمصر جاء تحت ضغط من الإنجليز. وأن إطلاق سراح المصريين من جانب ألمانيا قد يكون له تأثير سياسي مرجو في مصر.*

*(148)- مكاتبة من وزارة الخارجية بتاريخ 30 سبتمبر 1939 (أسرعوا)، الأرشيف السياسي لوزارة الخارجية R27262.*

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

# نهاية الآمال – الاختفاء

*اختفى متجر الفاكهة الذي كان في الطابق الأرضي، وبدلًا من صناديق الخوخ والفراولة لم يجد حلمي عند مروره سوى نوافذ مظلمة، وصعد طابقين على السلم المألوف بدرجاته التي تصدر صريرًا مخيفًا. كان ذلك في عام 1942، أي بعد ست سنوات منذ زيارته الأولى لجدة آنا، وقد مر عامان منذ اعتقله البوليس السري قبل أن يعيده إلى الحياة مُجددًا.*

*لم يكد يتبقى شيء يُذكر من الأثاث الداخلي القديم للشقة، المقعد الوثير والسجاد الفارسي ومرآة الحائط أو التسريحة كما كانت السيدة العجوز تطلق عليها، كل هذا قد بيع، فكانت الحجرات هزيلة شبه خالية وكالحة. وحلمي أيضًا كان قد تغير، لم يسمعوا شيئًا عنه منذ فترة طويلة، بعد أن اعتقله البوليس السري عقب اندلاع الحرب في خريف عام 1939، وبدت بعض الأشياء غريبة على أسرة آنا؛ لقد كان حلمي مهندمًا وبصحة جيدة، فهو يملك ما يكفي من المال على ما يبدو، وقال بنفسه إن الدولة أعطته عيادة جديدة خاصة به ربما تكون أفضل من تلك التي كان يملكها من قبل، بلا مخاطر، بل عنوان راقٍ في منطقة شارلوتينبورج. لم يكن على حلمي سوى الظهور هناك، أما المرضى فكانوا وفرةً هناك.*

*كيف خرج من الحبس تحديدًا؟ لم يجب عن هذا السؤال، فنظرت إليه جدة آنا بتشكك، ولكن في يأسها لجأت إليه مُجددًا، فهو رغم كل الشكوك من معارفها القدامى.*

*لقد بدأت عمليات نقل يهود برلين يوم 18 أكتوبر عام 1941، وكانوا قد مُنعوا من استخدام الهواتف العمومية مُنذ 18 ديسمبر عام 1941، ومن شراء الجرائد والمجلات ومن الذهاب إلى حلاقي الشعر "الآريين" مُنذ 17 فبراير 1942. في ذلك اليوم، الخميس الموافق 5 مارس 1942 كانت جدة آنا قد استنفدت كل طاقتها، وكانت تمسك في يدها خطابًا موجهًا من البوليس السري إلى السيدة سيسيليا سارة رودنيك، كما كانت تُسمى في المصالح الحكومية، يأمرونها فيه بحزم بعض أشيائها والتوجه إلى المعبد اليهودي في منطقة موابيت في شارع ليفيتسوف، حيث أقام اتحاد اليهود في الرايخ الألماني بأمر السلطات مُعسكر تجميع لمئات اليهود، كانوا قد أزالوا المقاعد من المعبد ونثروا القش على الأرضية، وفي فناء المعبد الداخلي تنتظر سيارات النقل، وعلى بعد ثمانية كيلومترات في محطة قطارات البضائع جرونيفالد كانت تنتظرهم عربات القطار المُخصصة لنقل الماشية.*

*كانت جدة آنا قد قضت لتوها ثلاثة أسابيع في سجن البوليس السري في ميدان أليكساندر (149) بتهمة تحقير إجراءات الحكومة النازية، وتحديدًا في قبو مديرية الأمن، ذلك المجمع البشع من الطوب الأحمر المعروف باسم القلعة الحمراء، والذي كانت تتسرب منه بداية الأمر أحيانًا صرخات المُعذبين إلى ميدان أليكساندر. توسلت إلى حلمي قائلةً إنها لا يمكن أن تنجو من هذا المكان مرة أخرى، ولكن ماذا عساها تفعل؟ هل تلوذ بالفرار؟ هل تختفي كليةً عن الأنظار؟ كيف وهي أرملة عجوز تبلغ من العمر 67 عامًا؟*

*فاجأها حلمي بحكمه الواضح ونصحها قائلًا: "أفيقي وافتحي عينيكِ، لقد انتهت مرحلة الأمل، فلتختفي عن الأنظار" (150). قال إن عليها أن تختبئ، وبعد سنوات ستتذكر آنا كيف أن كلمات حلمي أيقظت جدتها من سباتها "كان هو من أقنعها بأن عليها الاختباء وألا تدعهم يُمسكون بها" (151)، وقال لها إن أي شيء آخر يعني موتها. وأوضح لها أنها لا يجب أن تتردد أو تُخدع بكلام البوليس السري وتأكيداته بأنهم سيرسلونها إلى الشرق لتعمل هناك وتبدأ حياةً جديدة.*

*ترددت الجدة لحظةً (152)، ربما احتاجت هذا الوقت كي تستجمع شجاعتها، ثم حزمت بسرعة حقيبةً واحدةً، ورتب لها مدير مكتبها الوفي أوتو بويا مكانًا تبيت فيه ليلتها الأولى (153) حيث إنه كان يعرف الجميع في حي ليشترفيلدا (154)، لكنها لا تستطيع البقاء هناك إلا لفترةٍ قصيرة، بل تحتاج إلى مخبأ دائم في برلين، وجاءت الفكرة هذه المرة أيضًا من حلمي الذي طلب من مريضة مسنة تُدعى فريدا شتورمان استضافة الجدة. كانت فريدا شتورمان عاملة هادئة في مأوى من منطقة شتاكين بالقرب من شبانداو تحب قراءة الطالع في أوراق الكوتشينة (155)، وكان حلمي يثق فيها، وحتى يهدئ من شكوك الجدة حكى لها عن تجربته التي عانى فيها مع غيره من المصريين في حبس البوليس السري بدايةً من خريف عام 1939، لم يقص عليها كل شيء واكتفى فقط بالجزء الأول من الحكاية: "لقد اقتادونا مكبلين بالحديد في معاصمنا إلى سجونٍ حقيقية وكنا ننام على الخشب أو على الأرض" (156)، ثم نقلوه وبني بلده مُجددًا في سيارة الترحيلات الخاصة بالمجرمين لأيام طويلة في البرد القارس إلى السجن في قلعة فولتسبورج (157) والذي تعود أسواره إلى العصور الوسطى وأُعتُقل فيه شارل ديجول في الحرب العالمية الأولى.*

*ولكن عندما اعتقل النازيون المصريين لم يريدوا عقابهم ولم يفكروا إطلاقًا في إبادتهم، بل كانوا ينوون شيئًا آخر كما لاحظ المصريون سريعًا: تبادل أسرى. وكان ذلك من حسن حظ حلمي، فمن أجل إطلاق سراح الألمان المُعتقلين في مصر اختارت وزارة الخارجية الألمانية هؤلاء المصريين العشرة الذين يعيشون في ألمانيا والذين توقعوا أن يحصلوا مقابلهم على صفقة*

*تبادلية كبيرة (158)، حيث أوضحت وزارة الخارجية للبوليس السري أن عليهم دائمًا "اعتقال الشخصيات الأهم أولًا" (159.(*

*بجانب حلمي الطبيب الساخر كان هناك أيضًا رئيس غرفة التجارة الألمانية المصرية، دكتور عزيز بِك كوتا رئيس الجالية المسلمة، ورياض أحمد محمد وهو مدرب باليه من منطقة كور فورستين دام، وعبد العزيز سليمان ابن أحد الأمراء المصريين، وزكي حليم وآخرون (160). كانوا جميعًا من المثقفين المنفتحين على العالم، وقد اكتشفوا في السجن القواسم المشتركة التي تجمعهم، وبدؤوا يتشاركون الأفكار، على غير هوى النازيين.*

*بعد مواقف حلمي المستفزة في مشفى موابيت والساخرة من القيادة النازية أكد وكيل وزارة الخارجية بولي أنه يعلق أهمية كبيرة على أن حلمي بالذات سيظل مُعتقلًا "حتى يُطلق المصريون سراح آخر مواطن ألماني مُعتقل لديهم" (161). غير أن حلمي لم يُعامل في الحبس بسوء، بل لقي مُعاملة إنسانية نسبيًّا، كانوا يعاملونه كرهينة سياسية قيمة لا يريدون خسارتها.*

*وفي بداية عام 1940 أطلقت وزارة الخارجية سراحهم جميعًا بما فيهم حلمي أيضًا، دون تنفيذ أي مطالبات سياسية في مصر (162)، إذ لم تتراجع أعداد الألمان المعتقلين في مصر، بل زادت، أي إن التهديدات الصادرة من برلين لم تحدث أي أثر ولم تُخف أحدًا في القاهرة، ورغم ذلك كان هناك سببٌ ما جعل الدبلوماسيين النازيين يتراجعون؛ حيث رأت وزارة الخارجية أنها لن تستفيد شيئًا من استعداء هذه الشخصيات المسلمة الشهيرة التي اعتقلتها، بل على العكس قد تصبح هذه الشخصيات المهمة في المجتمع الإسلامي في برلين حلفاء للنظام النازي إذا تمكن النظام من كسبها إلى جانبه عبر لفتة إنسانية بدلًا من تركها في الحبس لأمد غير معلوم، فهم في نهاية المطاف "أفضل من يمكن استخدامهم من الأجانب للأغراض الدعائية (163)" كما أكدت وزارة الخارجية.*

*كان المسلم المُعتقل الذي يُلمح باستعداده للتعاون مع النظام يلقى ترحيبًا كبيرًا لدى القيادة النازية، حتى إن أمل النظام النازي في هذا التعاون كان في مرة واحدة على الأقل السبب في الاعتقال. رافق حلمي في الحبس طالب الطب محمد توفيق مجاهد الذي لم يبلغ من العمر سوى 21 عامًا، وكانت وزارة الدعاية ووزيرها جوبلز يبحثان عن مذيع لبرامج الإذاعة العربية، واستحسن رجال جوبلز صوت هذا الشاب ذي الواحد والعشرين ربيعًا، لكن صوته هذا بُح داخل جدران السجن الباردة، فاضطر إلى البقاء والانتظار طويلًا*

*حتى يتعافى صوته ليتمكن من خوض تجارب الأداء فصار سجينًا لنزلة البرد التي أصابته.*

*كان على حلمي بعد إطلاق سراحه أن يخشى على حريته هذه، حيث كان الأمان الذي ينعم به في برلين مرهونًا باعتبار النازيين له صديقًا للنظام، فلم يكن مسموحًا له بمغادرة ألمانيا رغم إطلاق سراحه شأنه في ذلك شأن باقي زملائه في الحبس من المصريين "لأنه يجب الاحتفاظ بإمكانية استغلال هذه الشخصيات مُجددًا تبعًا للتطورات السياسية"، وكان ألفريد هيس الغاضب مدير الشؤون المصرية في الحزب النازي هو من أصر على ذلك، وأيضًا "لأنه من الضروري مراقبتهم لأسباب تتعلق بخطر التجسس" (164)، وكان على حلمي لفترة تسجيل نفسه لدى الشرطة مرتين يوميًّا؛ في الضحى وبعد الظهيرة (165).*

*لكنه كان على ما يبدو مُستعدًّا للمخاطرة بهذا الحيز الضئيل من الأمان الهش من أجل عائلة الفتاة آنا اليهودية، إذ يساعدهم الآن كما فعل في الماضي على الالتفاف على القوانين والأوامر الرسمية. وكان ذلك قرارًا ذا تبعات جسيمة كما اكتشفت آنا لاحقًا "فبذلك جلب السيد الطبيب على نفسه الكارثة الأولى" (166).*

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

*كانت الجدة قد اختفت في مخبئها الأول عندما عاد زوج والدة آنا من العمل إلى المنزل مع دخول الليل وعرف ما جرى، وأحدث "جلبةً كبيرة" (167) كما ذكرت آنا فيما بعد. لم تكن آنا تطيق زوج والدتها أبدًا، ولم تكن تطلق على هذا الرجل الذي تزوجته والدتها عام 1929 سوى لقب "البدين" (168)، وفي أحسن الأحوال كانت تناديه بلقبه "العم فير".*

*كان جورج فير هذا رجلًا قصيرًا خفيف الشعر (169) سريع الانفعال حتى إنه يكاد ينفجر غيظًا وحنقًا (170)، وهو لم يكن يهوديًّا (171) كما يعلم الجميع في المنزل، ولكنه عايش بنفسه عاقبة أن يحاول المرء خداع البوليس السري. لذلك يتعامل الآن بحرص ولم يكن راضيًا عن نصيحة حلمي بعصيان السلطات، وربما شعر بالخديعة لأن سيدات أسرته قبلن هذه النصيحة دون سؤاله على الإطلاق. لقد كان يعلم جيدًا: عندما يعثر البوليس السري على أحد اليهود المُختفين ويقتاده من مخبئه، فإنه يُحضره بداية الأمر إلى ذلك المبنى الواقع على الضفة اليُمنى لنهر شبريه في العنوان 28 بورج شتراسه (172)، إلى ذلك البناء الذي تنطلق من طابقيه الأول والثاني أوامر الاعتقال والترحيل بحق يهود برلين إلى معسكرات الاعتقال. أما في القبو والمبنى الثاني فكانت تجري عمليات التعذيب والقتل. كان يُطلب من اليهود الإفصاح*

*عمن ساعدهم، وكان هؤلاء المساعدون والمتواطئون يقعون في خطرٍ مُحدق. غير اليهودي لن يخسر شيئًا إلا إذا قرر مساعدة اليهود.*

*عندما قررت إدارة شعبة الحزب النازي مُمثلة في المُستشار الاقتصادي دكتور موللر مُصادرة متجر الفاكهة المملوك للأسرة لصالح الآريين، عندها توجهت جدة آنا للمرة الأولى إلى زوج ابنتها جورج فير (173) وطلبت منه أن يشتري المتجر، فهو يعمل هناك على كل حال صرافًا لدى الأسرة، ولكن هذه الخطة لم تفلح، فقد أوضح المستشار الاقتصادي للحزب أنه لا يمكن قبول نقل ملكية المتجر إلى "زوج الابنة الآري" (174)، بل إنهم علاوةً على ذلك جعلوا جورج فير يندم على مجرد استعداده لمساعدة أسرة زوجته.*

*انتزع المستشار الاقتصادي متجر الفاكهة من الأسرة بشكل أسرع من المعتاد –في يوليو من عام 1938- وأعطاه لشركة تُدعى "ترانس دانوبيا ذات المسؤولية المحدودة" (175) (Transdanubia GmbH) لم تدفع مقابله سوى مبلغ تافه لم يتجاوز 9500 مارك، أي ما يعادل مبيعات أسبوع واحد تقريبًا، ولم تفعل الشركة شيئًا سوى تصفية المتجر أمام أعين الأسرة التي تسكن أعلاه. كما عاقب المستشار الاقتصادي أيضًا جورج فير الذي ذكر لاحقًا: "الجميع كانوا يعرفون ظروفي (176)، لم يرد أحدٌ أن يوصف بأنه صديق اليهود"، وكـ"صديق لليهود"، ظل جورج فير عامًا كاملًا بلا عمل، فلم يرد أحد أن يعينه بعد أن شهد المستشار الاقتصادي بأنه "يفتقر إلى الأمانة الشخصية"، ولم يجد جورج فير عملًا إلا في عام 1939 لدى أحد معارفه القدامى الذي كان يُصنع منتجات اللحوم في حي ليشترفيلده (177).*

*والآن؟ عاتب جورج فير زوجته جولي والدة آنا قائلًا إنهم لا يُمكنهم الكذب على البوليس السري مُجددًا، بل من الأفضل أن ينصاعوا ويلتزموا بالقواعد، أن يطأطئوا رؤوسهم، ولن يتعرضوا عندها للأذى. وخلال هذه المُشادة أخذ جورج فير يحزم حقائبه (178)، وهو الذي بوسعه أن يُفشي سر العائلة بأكملها، وهو الأمر الذي يمكن فهمه على أنه تهديد، غير أن والدة آنا بدت كعادتها غير مُقدرة لخطورة الموقف، بينما آنا التي كانت قد بلغت وقتها من العمر 17 عامًا ذكرت لاحقًا كيف كانت مرتبكة ومضطربة في هذا المساء، ووصفت الوضع في هذه الليلة قائلةً: "بعد جهود مُضنية لإقناعه أعلن جورج فير على الأقل استعداده لأن يهاتف حلمي" (179).*

*وكانت هذه فرصة حلمي أن يوضح له الخطر الذي يحدق بعائلته اليهودية وأن يثنيه عن إنهاء تضامنه مع العائلة، وقالت آنا لاحقًا إنه: "لم يكن ممكنًا مناقشة هذه الأمور على الهاتف، بل كان عليهم الحذر بسبب التنصت على الهواتف. فهدّأ السيد الطبيب زوج والدتي وطلب لقاءه عنده للحديث بالتفصيل حول*

*هذا الأمر"، وكانت نتيجة ذلك كما ذكرت آنا "أنه توجب على السيد الطبيب مساعدة الجميع (180) وإدلاء النصح بخصوص معالجة جميع الأمراض وحول كل مخبأ جديد وكل أمر إداري جديد، لأن زوج والدتي لم يكن قادرًا على ذلك بمفرده".*

*ثم توالت الأحداث سريعًا، فبعد جدة آنا مباشرةً اختفى أيضًا عضو آخر من عائلتها هو ابن سيسيليا رودنيك من زواجها الأول، أي إنه خال آنا غير الشقيق، وكان رجلًا جميل المظهر يُدعى مارتين رودنيك لم يتجاوز الرابعة والعشرين من عمره وله معارف نسائية كثيرة نجح الآن في استغلالها بأن وجد مأوىً له لدى اثنتين منهما: هيلديجارد أولبريش (181) وزوجة أخيها إيرمجارد في العنوان 51أ بابلسبيرجر في منطقة فيلمرسدورف، والذي يبعد بضع دقائق سيرًا من المسجد ذي المنارتين. وهكذا بدأ منزل العائلة أعلى متجر الفاكهة السابق في ميدان أليكساندر يخلو من ساكنيه؛ لقد أظهرت نصائح حلمي وإلحاحه مفعولًا قويًّا.*

*كانت آنا تحب خالها غير الشقيق الجذاب هذا وتشاركه بعض الطباع، فهو أيضًا كان مهتمًّا بالطب شأنه في ذلك شأن آنا، وبدأ عام 1938 تدريبًا ليصبح فني أسنان (182) لدى طبيب يُدعى دكتور جرونباوم لم يُسمح له لاحقًا باستخدام لقب طبيب أسنان بل ممارس أسنان، وقد تعلم مارتين لديه تقنية الكاوتشوك والمعدن والجسور (183) وكذلك تصنيع أطقم الأسنان من البلادون .*

*ثم اضطر مارتين لقطع تدريبه في فبراير من عام 1939 بعد أن شدد النازيون من قوانينهم، وفي نوفمبر من عام 1941 لم يذهب إلى العمل الإجباري المفروض عليه في أحد مصانع الصاج في منطقة فايسينزي (184)، حيث كان بوسعهم ترحيله من هناك في أي لحظة، وهو لم يُرد أن يُسهل الأمر على مُضطهديه إلى هذه الدرجة.*

*عاش مارتين كساكن إضافي لدى السيدة أولبريش وزوجة أخيها دون بطاقة تموين، وتدبر أموره كما كان يفعل دائمًا، عن طريق تنظيم عمليات تهريب لبضائع مختلفة مُستخدمًا اسمًا مستعارًا كما ذكرت آنا لاحقًا (185)، فأحيانًا كان يهرب الخيوط الحريرية من براغ ويبيعها في السوق السوداء وأحيانًا السجائر من أثينا والتي كانت تحصل عليها هيلديجارد من الجيش الألماني. وقد أخفى مارتين بعض الأشياء الثمينة لدى العديد من معارفه؛ كاميرا لايكا وخاتمًا نفيسًا لوالده المتوفى وساعة جيب ذهبية (186). وأخذ الآن يبيع هذه الأشياء بثمن بخس الواحد تلو الآخر، وبين الحين والآخر كان يمر عليه أوتو بويا مساعد الجدة الوفي ويعطيه بعض المال والسجائر (187) "وعندما تُلم*

*بمارتين ضائقة كان يتصل بالسيد الطبيب طالبًا المساعدة (188)، وكان دائمًا ما يساعده" كما ذكرت جولي والدة آنا لاحقًا.*

*عندما طرق رجال البوليس السري الباب في الساعة السادسة صباحًا لاصطحاب الجدة قيل لهم إنها مسافرة (189)، فأخذوا آنا معهم لفترة وجيزة، ربما ليجبروا والديها على الحديث. في السنوات التالية لم ترغب آنا أبدًا في الحديث باستفاضة عن هذه التجربة، بل ذكرت فقط أن رجال البوليس السري استجوبوها وألحوا عليها في مغادرة ألمانيا بأسرع ما يمكن.*

*كما ذكرت آنا لاحقًا أنهم حذروها أيضًا، وقالوا لها إنه في حالة عدم التزامها بهذا الأمر فسوف ينقلونها إلى المكان المناسب (190).*

*أدرك حلمي أن الفتاة نجت بالكاد هذه المرة وأن موقفها صار حرجًا للغاية، إنها تحتاج مخبأ، وقد رأى حلمي بنفسه بعد "الجلبة الكبيرة" التي أحدثها جورج فير أن أسرتها لن تكون عونًا كبيرًا لها.*

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

*(149)- قارن جاني بيتش "امتلك حديقة بمنطقة شونايشي التابعة لبرلين". الاختفاء الإداري للجيران اليهود وعودتهم الصعبة، فرانكفورت/ نيويورك 2006 ص 101.*

*(150)- قارن تقرير لجولي فير بتاريخ 26 سبتمبر 1945، أرشيف ياد فاشيم. M. 31، 12582 جاء التاريخ وفقًا لأقوال بيتش، الحديقة بشوناش، ذكر في مكان آخر ص 101.*

*(151)- تقرير لآنا بتاريخ 10 يوليو 1945، أرشيف ياد فاشيم 12582 /M. 31.*

*(152)- قارن تقرير لجولي فير بتاريخ 26 سبتمبر 1945، أرشيف ياد فاشيم 12582 /M. 31، بيتش، الحديقة بشونايش، ذكر في مكان آخر ص 104.*

*(153)- قارن نفس المرجع.*

*(154)- قارن خطاب جولي فير لهنري جوتمان.*

*(155)- قارن ملف التعويضات لسيسيل رودنيك LABO برلين، سجل رقم Bl.C8 25535.*

*(156)- مدونة لوزارة الخارجية بتاريخ 23 فبراير 1940، الأرشيف السياسي لوزارة الخارجية R13637.*

*(157)- توجد في بعض مذكرات الشهود الوقتيين بصيغة الكتابة الخاطئة أيضًا "فولسبورج"، للصيغة الكتابية الصحيحة انظر الأرشيف السياسي لوزارة الخارجية R27262 (ختم طبيب المعسكر أو المراسلات الكتابية بين وزارة الخارجية والبوليس السري "جيستابو").*

*(158)- وجد في مدونة السيد فرنر أوتو فون هنتينج مبعوث الشرق لوزارة الخارجية بتاريخ 5 أكتوبر 1939 نصها:"يوكل للبوليس السري اختيار من يقومون بعمليات الاعتقال". الأرشيف السياسي لوزارة الخارجية R27262.*

*(159)- تسجيل لوزارة الخارجية (سرًّا) بتاريخ 4 ديسمبر 1939، الأرشيف السياسي لوزارة الخارجية R27262.*

*(160)- قارن مكاتبة فرنر أوتو فون هنتيش إلى سكرتير الدولة فورمان، بتاريخ 5 أكتوبر 1939 وكذلك مكاتبة الجمعية الإسلامية ببرلين لـ هنتيش بتاريخ 28 أكتوبر 1939، كلا الأرشيفان السياسيان AA و R41394.*

*(161)- مكاتبة مدير منظمة الخارج AO لحزب النازية إلى رئاسة شرطة برلين بتاريخ 9 نوفمبر 1939، وكذلك مكاتبة وزارة الخارجية إلى البوليس السري "جيستابو" بتاريخ 17 نوفمبر 1939، الأرشيف السياسي لوزارة الخارجية R27262.*

*(162)- تم إطلاق سراح الدكتور حلمي كأول شخص، حيث وفق في إبرام تبادل من خلال الدبلوماسيين المسلمين حيث يُسمح لشخصين من الألمان المسجونين الذين مرضوا داخل السجن مثلما كانت الحال بالنسبة له بمغادرة الحبس للعلاج ومقابل ذلك يُسمح لحلمي بنفس الشيء أيضًا. مدونة سكرتير الدولة بوزارة الخارجية تودور هابيشت. بتاريخ 24 مايو 1940، الأرشيف السياسي لوزارة الخارجية R7620.*

*(163)- قارن مدونة بتاريخ 29 أبريل 1941، الأرشيف السياسي لوزارة الخارجية R29863.*

*(164)- مدونة لـ أدولف هيس بتاريخ 25 أكتوبر 1940، الأرشيف السياسي لوزارة الخارجية R29863.*

*(165)- حوار مع أحمد فرغلي في مايو 2016.*

*(166)- تقرير لـ آنا بتاريخ 10 يوليو 1945، أرشيف ياد فاشيم M 31، 12582.*

*(167)- نفس المرجع.*

*(168)- قارن خطابات آنا، أرشيف عائلة جوتمان.*

*(169)- قارن صورته في بطاقة ضحية الفاشية، ملف تعويضات جورج فير، LABO برلين، سجل رقم 71761.*

*(170)-خطاب مارتين رودنيك إلى آنا جوتمان بتاريخ 8 أبريل 1950، أرشيف عائلة جوتمان.*

*(171)- قارن ملف تعويضات جورج فير، LABO برلين، سجل رقم 71761 Bl. C2.*

*(172)- قارن بياتة كوسمالة، المساعدة المشؤومة ونتائجها. عقوبة تمييز اليهود. من هيئة المتابعة النازية، في بياتة كوسمالة/ كلاوديا شوبمان (الناشر): البقاء على قيد الحياة تحت الأرض. مساعدة اليهود في ألمانيا 1941-1945، برلين 2002 ص 205-221، هنا ص 209 وما بعدها.*

*(173)- قارن ملف التعويضات لـ جورج فير، LABO برلين، سجل رقم 71761، Bl. M. 13.*

*(174)- خطاب د مولرز بتاريخ 21 مارس 1938، نفس المرجع Bl. E 5.*

*(175)- سجل تعويضات سيسيل رودنيك، LABO برلين، سجل رقم 25535 Bl. M 6.*

*للتصفية قارن قاعدة البيانات الخاصة بالمصانع التجارية ببرلين 1930- 1945. في أرشيف ولاية برلين، سجل مارتين رودنيك ش.ذ.م.م. للشرح والتفسير أيضًا جان بيتش "كنت أمتلك حديقة في شونايش التابعة لبرلين"، ذكر في مكان آخر ص 103.*

*(176)- ملف تعويضات جورج فير، LABo برلين، سجل رقم 71761 Bl. M 14، B 29، E 11.*

*(177)- قارن نفس المرجع Bl. M 14.*

*(178)- قارن تقرير لـ آنا بتاريخ 10 يوليو 1945، أرشيف ياد فاشيم M. 31، 12582.*

*(179)- نفس المرجع، وذكرت جولي على النقيض من ذلك أن الأمر كله تم تنظيمه تليفونيًّا بين حلمي وجورج فير، قارن تقرير لجولي فير بتاريخ 26 سبتمبر 1945، أرشيف ياد فاشيم M. 31/12582. إلا أن هذا الاحتمال ضعيف استنادًا إلى ما وصفت آنا من حذر شديد أثناء المحادثات التليفونية.*

(180)- تقرير لآنا بتاريخ 10 يوليو 1945، أرشيف ياد فاشيم M. 31/12582.

(181)- قارن ملف التعويضات لمارتين رودنيك، LABO برلين، سجل رقم 23973، Bl. C 8f.، C 10، D 28.

(182)- قارن نفس المرجع Bl. M 17.

(183)- قارن نفس المرجع Bl. E 3.

(184)- قارن نفس المرجع Bl. M 17.

(185)- قارن نفس المرجع Bl. D 27-28.

(186)- قارن نفس المرجع Bl.D 18.

(187)- قارن نفس المرجع Bl. D 27-28.

(188)- تقرير لـ جولي فير بتاريخ 26 سبتمبر 1945، أرشيف ياد فاشيم M. 31/ 12582.

(189)- سيرة ذاتية بخط اليد لآنا في ديسمبر 1953، أرشيف ولاية برلين، B Rep. 078 رقم 0561 (مخزن الملفات "أبطال لم تتم الإشادة بهم"، طلب لمحمد حلمي) Bl. 13-16K هنا Bl. 14.

(190)- ملف التعويضات لآنا/ LABO برلين، سجل رقم 52472، Bl. C 45.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

# خطة جريئة

*كان بإمكان آنا رؤية المشهد من الخارج من دون أن يراها أحد، فعندما كانت تسير بمفردها في الشوارع، لم يكن أحد يعلم أنها يهودية، فهي الوحيدة في عائلتها التي لم تكن تحمل نجمة اليهود، لم تكن مضطرة لذلك، حدث ذات مرة أن طلب منها مأمور مركز الشرطة وكان يُدعى النقيب لودفيج أن تضع نجمةً (191)، ولكنها لم تر أي سببٍ يجعلها تستجيب لهذا الطلب.*

*عندما كانت تذهب من ميدان أليكساندر إلى حي السفارات سيرًا على الأقدام، لأنه لم يكن مسموحًا لليهود باستخدام قطارات الأنفاق، وتسير في مُنحنى بعيد، لأن المنطقة المحيطة ببوابة براندينبورج كانت محظورة على اليهود، كانت تشاهد الناس الذين يحملون في معاطفهم رقعة قماش صفراء يمرون أمامها وتتساءل أحيانًا كيف يسهل أن يتقمص المرء دور إنسانٍ آخر، أن يُعتبر المرء إنسانًا آخر، أن يكون الإنسان غير مرئي دون أن يختبئ، وكانت تتساءل عما يتخيله الناس عنها عندما تمر أمامهم.*

*لقد جاءت إلى برلين عندما كانت في الثانية من عمرها، لكنها لم تصبح أبدًا مواطنة ألمانية، لذلك كانت مُستثناةً حتى الآن من بعض "الإجراءات الأمنية" مثل حمل النجمة اليهودية، رغم أنهم ختموا جواز سفرها بحرف J المخصص لليهود مُنذ ربيع عام 1941.*

*أما والدتها وجدتها فقد حصلتا على الجنسية الألمانية لأنهما تزوجتا من مواطنين ألمانيين، تزوجت والدتها عقب طلاقها بجورج فير صاحب المزاج المتقلب، أما جدتها التي كانت حينذاك أرملة للمرة الأولى فقد تزوجت بتاجر الفاكهة اليهودي مويس رودنيك، بينما ظلت آنا أجنبية، وقد ولدت في مدينة آراد في المنطقة الحدودية بين المجر ورومانيا.*

*لذلك لم يطلب رجال البوليس السري من آنا التوجه إلى نقطة التجمع في المعبد اليهودي عندما بدؤوا في ترحيل يهود برلين خلافًا لجدتها، بل طلبوا منها التوجه إلى القنصلية الرومانية، "قيل إنه يجب على الأجانب مغادرة البلاد" (192)، هكذا حكت آنا لاحقًا، وكتب لها البوليس السري أن عليها ختم جواز سفرها في القنصلية لمغادرة ألمانيا والتوجه إلى رومانيا خلال ثلاثة أيام. لم تكن آنا تنوي الانصياع لهذا الأمر (193)، لكنها شاهدت ما يحدث مع اليهود الأجانب الآخرين الذين يمتنعون عن المغادرة. "كان شركاء المعاناة يُسجنون" (194) كما ذكرت آنا لاحقًا، "وكانوا سيسجنونني أيضًا لولا أنني... اختفيت في الوقت المناسب".*

*فيلا من ثلاثة طوابق يُحيط بها سور حديدي أسود. هناك قدمت آنا جواز سفرها الأزرق المنقوش عليه بخط مُذهب "مملكة رومانيا، جواز سفر للأجانب". كان ذلك في مارس من عام 1942. في الماضي لم يقدم جواز السفر الروماني حمايةً تُذكر لها كيهودية، أما الآن فقد أصبح بلا قيمة على الإطلاق، حيث وافقت الحكومة الرومانية شفهيًّا في نوفمبر من عام 1941 على نية الرايخ الألماني قتل اليهود الرومانيين أيضًا وقالت إنها لم تعد مهتمة بإعادتهم إلى رومانيا (195).*

*كان موظف القنصلية الجالس خلف السور الحديدي شخصًا ودودًا ونصح آنا عند الختم قائلًا لها ألا تسافر إلى رومانيا مهما حدث، لأنها لن تصل إلى هناك أبدًا وسيكون موتها أمرًا مُحققًا (196).*

*قالت آنا: "لم يبق أمامي من حلٍّ سوى الاختفاء" (197)، وقالت: "سمعنا أنهم لا يرسلون اليهود إلى رومانيا، بل ينقلونهم إلى المعسكرات في بولندا" (198).*

*فكرت آنا مع دكتور حلمي في طريقة تختفي بها عن الأنظار، لا يمكن أن تذهب إلى مريضة دكتور حلمي المتعاونة فريدا شتورمان، فهذه الفرصة لم تعد متاحة، لأن هذه السيدة الفقيرة بلغت غاية جهدها مُنذ أن استضافت سيسيليا جدة آنا. "أينما حلت جدتي غاب السلام (199)، لقد تشاجرت مع جميع العائلات التي استقبلتها"، هكذا وصفت آنا الوضع في ضيق، وكان هذا الأمر يثير حنقها ويكاد يدفعها إلى الجنون: "كانت خبيثة ووقحة ولم تستطع إغلاق فمها اللعين" (200)، هذا ما ذكرته عنها حتى بعد انتهاء الحرب وقالت أيضًا: "وهي بذلك كانت تُعرض من استقبلها للخطر أيضًا، وكان على السيد الطبيب الاهتمام بالأمر والبحث عن حلول". وهكذا ضاعت هذه الفرصة على آنا.*

*كانت جدة آنا طيلة حياتها سيدة أعمال، كان عليها دائمًا أن تحسب كل شيء بصلابة وألا تعتمد على قول أحد، ولولا ذلك ما كانت لتصمد في مجتمع الأعمال في برلين، كانت دائمًا فخورة "بهمتها الحديدية وحرصها الشديد" (201). ولكن من كان يصدق أن هذه المرأة التي كانت تخشى دائمًا أن الصغار سيموتون جوعًا دونها (202)، من كان يصدق أن هذه المرأة بالذات ستظل ساكنة في مخبأ لا تستطيع أن تفتح فمها؟*

*نقلتها فريدا شتورمان إلى أختها، وهناك كان يُفترض أن يظن الجيران أن هذه الحجرات غير مأهولة (203)، وهكذا كان عليها أن تتوافق مع هذا السقوط، قبل سنوات قليلة كانت سيسيليا رودنيك البالغة من العمر 67 عامًا تتحكم في تجارة دولية كبيرة وتترأس عائلة غنية، والآن عليها الاستكانة كالشبح.*

*ربما يستطيع خالها الشاب مارتين المساعدة؟ "لم يفعل أي شيء إطلاقًا لآنا"، هكذا اختصرت والدتها الأمر لاحقًا بمرارة، خالها الذي يمارس تجارة مربحة في السوق السوداء وله معارف كثيرون، لم يفكر إلا في نفسه. لم يكن بمقدور والدة آنا أن تستوعب تصرفه هذا، ولكنها لاحظت بواقعية أن مارتين "لم يعد يسأل عنهم في نهاية المطاف" (204). ربما كانت هناك في تلك الأوقات العصيبة عائلات أكثر قربًا وتضامنًا بعضها مع بعض، لكن عائلتها لم تكن منها.*

*تتذكر آنا تلك الأيام وتقول: "ثم بدأ البوليس السري يطاردني" (205). إلى أين تهرب؟ كانت غاضبة من جدتها ومن خالها وخاب ظنها في والدتها فتوجهت إلى حلمي.*

*أحيانًا كانت تراود آنا في الشارع فكرة مُغرية: أن يعتبرها الناس شخصًا آخر، أن تتلبس شخصية غريبة فتصبح غير مرئية أمام أعين الجميع، تختفي عن الأنظار في وضح النهار. تطلع حلمي إلى آنا: هذا الشعر الأسود ورثته عن أمها، وعيناها السوداوان تُشعان حيويةً وطاقة، لم تعد طفلةً بعد، بل صارت شابة، لكن ما زالت تظهر هذه الغمازات على وجنتيها عندما تضحك.*

*متى تحولت أفكار آنا هذه إلى خطة؟ ربما حكى لها حلمي تفاصيل اتفاقه مع النظام عندما كان مُعتقلًا بين عامي 1939/1940، لقد حصل مُجددًا على عيادة خاصة به في حي شارلوتينبورج، حيث سُمح له بالعمل في 7 شارع كايزر نائبًا عن طبيب ألماني يُدعى دكتور فيديكيند استُدعي إلى الحرب، وبذلك استرد حلمي حريته ومكانته في المجتمع وأصبح بمقدوره كتابة الوصفات والتقارير الطبية. كانت تنقصه مُساعدة، وبالطبع لا يمكن أن تكون يهودية هذه المرة، حيث يُحظر على اليهود علاج المرضى الآريين، ولكنه يستطيع تقديمها كمساعدة مُسلمة، هذا أكثر إقناعًا، وبذلك تحولت الفتاة اليهودية إلى مُسلمة وتحولت آنا إلى نادية بنت أخت السيد الطبيب.*

*وهكذا قدمها في شارلوتينبورج إلى مراقبيه الحكوميين، وفي 10 مارس 1942 تم إخبار البوليس السري أن الفتاة اليهودية آنا قد سافرت، وأكدت والدة آنا وزوج أمها أنهما أوصلاها بنفسيهما إلى القطار المتجه إلى رومانيا وقدما إيصالًا بتذكرة القطار (206)، وتنفست آنا الصعداء عندما علمت أن هذه الكذبة انطلت عليهم على ما يبدو: "لم يصدق البوليس السري مزاعم والدي، ولكن لم يكن لديهم أدلة ضد هذه المزاعم" (207).*

*كان اختيار اسم نادية فكرة حلمي (208)، كان الأمر يشبه إلى حد كبير عملية تبني، واقترح عليها قبل أن تغطي شعرها بالحجاب للمرة الأولى أن تسمي نفسها بهذا الاسم في عقلها حتى لا تفضح نفسها بالثرثرة. هذا الاسم الجديد*

*يعني ندى الصباح باللغة الفارسية ويعني "مُنادية" بالعربية. أحبت آنا هذا الاسم.*

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

*(191)- قارن ملف التعويضات لآنا، LABO برلين، سجل رقم Bl. C 52472 40.*

*(192)- تقرير لآنا بتاريخ 10 يوليو 1945، أرشيف ياد فاشيم M 31/ 12582.*

*(193)- قارن سيرة ذاتية بخط اليد لآنا، ديسمبر 1953، أرشيف ولاية برلين B Rep. 078 رقم 0561 مخزن الملفات "أبطال لم تتم الإشادة بهم"، (طلب محمد حلمي) Bl. 13-16.*

*(194)- سيرة ذاتية كتبتها آنا بنفسها بتاريخ 1 نوفمبر 1945، أرشيف ياد فاشيم M. 31/ 12582.*

*(195)- قارن رادو ايوانيد "الهولوكوست في رومانيا" 1940-1944، شيكاغو 2000، ص 259-270.*

*(196)- قارن سيرة ذاتية بخط اليد لآنا، ديسمبر 1953، أرشيف ولاية برلين B Rep. 078، رقم 0561 (مخزن الملفات "أبطال لم تتم الإشادة بهم"، طلب محمد حلمي) Bl. 13-16.*

*(197)- تقرير لآنا بتاريخ 10 يوليو 1945، أرشيف ياد فاشيم M. 31/ 12582.*

*(198)- سيرة ذاتية بخط اليد لآنا في ديسمبر 1953، أرشيف ولاية برلين B Rep. 078 رقم 0561 (مخزن الملفات "أبطال لم يتم الإشادة بهم" طلب محمد حلمي) Bl. 13-16.*

*(199)- تقرير لآنا بتاريخ 10 يوليو 1945، أرشيف ياد فاشيم، M. 31/ 12582.*

*(200)- نفس المرجع.*

*(201)- سيرة ذاتية كتبتها سيسيل رودنيك بذاتها بتاريخ 5 نوفمبر 1945، أرشيف ولاية برلين C Rep. 118-01 رقم 35340.*

*(202)- قارن خطاب هيلين ماتيسون إلى آنا جوتمان بتاريخ 10 سبتمبر 1948، أرشيف عائلة جوتمان.*

*(203)- قارن جاني بيتش "كنت أمتلك حديقة بشونايش التابعة لبرلين". الاختفاء المدبر للجيران اليهود وعودتهم الصعبة، فرانكفورت/ نيويورك 2006*

ص 104.

(204)- تقرير لآنا بتاريخ 26 سبتمبر 1945، أرشيف ياد فاشيم M. 31/12582.

(205)- قارن سيرة ذاتية بخط اليد لآنا بتاريخ 1 نوفمبر 1945، أرشيف ياد فاشيم / M. 31/ .12582

(206)- قارن سيرة ذاتية بخط اليد لآنا في ديسمبر 1953، أرشيف ولاية برلين b Rep. 078 رقم 0561 (مخزن الملفات " أبطال لم يتم الإشادة بهم"، طلب محمد حلمي، Bl. 13-16 هنا ص 14 وما بعدها).

(207)- نفس المرجع Bl. 14.

(208)- حوارات مع كارلا جوتمان غرينسبان وتشارلز جوتمان في سبتمبر 2016.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

# الاختفاء أمام أعين الجميع

*صباحًا كانت تشد طرحة الرأس فوق شعرها مثل مظلة (209)، قبل أن تتناول طرفها وترميه على كتفها، بالطبع لم يكن ذلك ضروريًّا، لكنه كان فكرة جيدة على أي حال كما لاحظت آنا، كان عجيبًا كيف أن هذا الحجاب يلفت أنظار الناس عن التطلع إلى وجهها، كان مثل طاقية التخفي، عندما يراه الناس لا يركزون على شيء آخر.*

*كانت آنا ترافق راعيها في السيارة إلى العمل صباحًا (210)، وإلى المنزل مساءً، كانت دائمًا قريبةً منه، وعندما يسألها أحد بفضولٍ زائدٍ، كان هو من يتولى الإجابة، وعندما كانت الشرطة تستوقفهما وتصيح بهما ليُنزلا زجاج السيارة ويُظهرا أوراقهما، كان دكتور حلمي ينظر إليهم بعصبية ظاهرة وكأنه يقول لهم: كيف لا يعرف رجال الشرطة السيد الطبيب صديق وزارة الخارجية، "حلمي العربي" (أفضل من يمكن استخدامه من الأجانب للأغراض الدعائية (211))، كما كانوا يقولون بزهو في وزارة الخارجية. ثم يخرج لهم من جيبه بطاقة هويته الملونة المخصصة للأجانب، وقد دبر لابنة أخته نادية ورقة مزورة، ربما من ابنة أحد الدبلوماسيين المسلمين الذين بدؤوا الآن في زمن الحرب مغادرة العاصمة الألمانية الواحد تلو الآخر. احتاجت آنا إلى بطاقة لفتاة ذات بشرة فاتحة وشعر أسود مجدول، ربما كان ذلك كافيًا لأن البوليس السري ليس لديه خبرة كافية بشأن الوثائق المصرية وكذلك لأن العائلات العربية لا تتشارك بالضرورة نفس اللقب، فنادرًا ما تحمل المرأة في مصر لقب زوجها.*

*"ابنة أختي من دريسدن" (212)، هكذا عرف حلمي الشابة التي تجلس إلى جانبه في السيارة وهو يدير عينيه وكأنه يشرح لهم ذلك للمرة العاشرة، وكان كثيرًا ما يشير إلى واجباته الملحة كطبيب، بينما كانت آنا تجلس إلى جواره مُتوترةً وتبتسم خجلًا وتأثرًا، ثم ينطلقان إلى العيادة في منطقة شارلوتينبورج.*

*تطلّب مخبأ آنا هذا أمام أعين الجميع تركيزًا شديدًا، أحيانًا كان حلمي يتحدث معها بالعربية وتُمثل هي أنها تفهم كل كلمة وترد قائلةً: "أجل"، وتبتسم للمرضى في حجرة الانتظار، كانا يتبادلان الأسرار. وقد قالت آنا لاحقًا إنها كانت تتذكر تلك الأوقات وتبدي إعجابها بإبداع حلمي: "لقد تعلمتُ الكثير" (213). وأُعجب حلمي كثيرًا بسرعة فهم آنا. كان عليه هو أيضًا أن يتخفى ويلعب دورًا ما، فكان يُمثل أمام البوليس السري دور "العربي الصديق للنازيين" الذي يحلمون به في مراكز جوبلز الدعائية، دور المصري الذي*

*يعاني وطنه تحت وطأة الاحتلال البريطاني البغيض كما عانت منطقة الراينلاند تحت وطأة الاستعمار الفرنسي، المصري الذي يتحرق شوقًا لانتصار الألمان على قوى الاستعمار القديم.*

*كتبت كتيبة العاصفة (SA) في منشور دعائي موجه إلى السكان المسلمين خصوصًا في البوسنة تقول إن الحلفاء "يسعون إلى قتل أكبر عدد ممكن من المسلمين"، بل وذهبوا في التحريض أبعد من ذلك وأخذوا يذكّرون المسلمين أن 232 مليون مسلم "يعيشون تحت الاحتلال الإنجليزي والأمريكي والفرنسي والروسي"، وأخفوا بالطبع حقيقة أن الألمان أنفسهم لا ينوون شيئًا مُختلفًا، بل كانوا يعلنون العكس: "وحدها ألمانيا تُقدر الإسلام"، هكذا زعمت كتيبة العاصفة (SA)، "إذا دُحرت ألمانيا فستضيع آخر فرصة لكم أيها المسلمون في أن تصبحوا أحرارًا!" (214).*

*كان حلمي يتقمص هذه النغمة جيدًا إذا لزم الأمر، وكان هذا هو سر علاقته الجيدة في ذلك الوقت مع النظام، وقد ولى ذاك الزمن الذي كان يصف فيه قادة النازيين أمثال هتلر وهيس وجورنج بالمشلولين أو الثرثارين، كان الآن يُمثل دور الوفي لهتلر بإتقان، وقد طور هذه التمثيلية في سجن البوليس السري مع أصدقائه المصريين: مُعلم الباليه ورئيس الغرفة التجارية وابن المدير ورئيس اتحاد المسلمين. وهذا هو الجزء الذي كتمه حلمي احتياطًا عن جدة آنا المتشككة، لقد بدأ عام 1939 من زنزانته يكتب خطابات النفاق إلى المتنفذين في النظام ينافقهم ويطريهم بحثًا عن التقارب مع النظام بكل نشاط، كان أحد هذه الخطابات موجهًا إلى هتلر شخصيًّا، وكتب فيه مخاطبًا الديكتاتور بقوله: "فخامتكم" (215). تصنع حلمي في هذا الخطاب أنه "يعمل منذ عام 1929 بنشاط من أجل الحركة النازية وأنه أصيب في هجوم معادٍ عام 1931". ووصف حلمي للديكتاتور معاناة مقاتل نازي قديم وقال إنه وهو المسلم اضطر للعمل بلا مقابل ولا تعيين حتى عام 1933، لا لشيء إلا لأن أعداء الحركة النازية –مديري مشفى موابيت اليهود– كان يعتبرونه مُعاديًا للسامية. كان ذلك بالتأكيد كذبًا محضًا، حيث كانت هذه السنوات الثلاث من دون أجر هي فترة الانتظار العادية التي كان على الأطباء الجدد إثبات نجاحهم فيها، كما كان حلمي الذي له أصدقاء يهود ويسكن بين اليهود يحصل من مديريه على السكن والطعام مجانًا مثل باقي الأطباء المساعدين أيضًا، ولكن حلمي كان يحكي للنازيين ما أرادوا سماعه حتى وإن كان كذبًا محضًا.*

*وقد جرب جيرانه في السجن من المصريين هذه الحيلة أيضًا وسعدوا جميعًا بانطلائها على النازيين، وربما تعجب حلمي نفسه في البداية من مدى نجاحها. كان قد عرض على النازيين -الذين كانوا يأملون حتى ذلك الوقت في تبادل الأسرى- وهو لم يزل في سجن البوليس السري أن يساعدهم بعلاقاته*

*السياسية المزعومة في مصر على إطلاق سراح الألمان المعتقلين في القاهرة، وكان شرطه الوحيد أن يُطلقوا هم سراحه بالإضافة إلى سجين مصري آخر هو صديقه رئيس غرفة التجارة الألمانية المصرية منذ سنين؛ الدكتور كوتا الذي يعيش في ألمانيا منذ سنوات طويلة، وهو مُتزوج من ألمانية من مدينة دوسلدورف وله منها ثلاثة أطفال ويمتلك سلسلة من دور العرض السينمائي. وقد أثار عرض حلمي هذا ردود فعل مُرحبة في وزارة الخارجية، فبعد أن اتصل وزير الخارجية بنفسه بمارتين بورمان مدير مكتب رودولف هيس، أُطلق سراح حلمي وكوتا بداية ديسمبر 1939 "بشرط أن يتمكنا من إطلاق سراح الألمان المُعتقلين في مصر (216) باستخدام نفوذهما وعلاقاتهما" (217) كما أضافت وزارة الخارجية في تطلع، ومنحوهما لتحقيق ذلك ثلاثين يومًا. ولكن أي نفوذ وأي علاقات؟ تقريبًا لا داعي لذكر أن أيام عيد الميلاد والعام الجديد 1939/1940 والثلاثين يومًا بكاملها مرت دون أن يجري حلمي اتصالًا واحدًا أو يستخدم أي قناة اتصال متاحة.*

*في الحقيقة لم تكن له علاقات جيدة حتى بأسرته في القاهرة ناهيك عن الساسة، وفي الحقيقة أيضًا أنه ظل مناهضًا للنازيين حتى وإن نجح الآن في التنكر، وخلال تلك الأيام الثلاثين لم تتراجع أعداد الألمان المعتقلين في مصر، بل ازدادت، مما جعل الأمور أكثر عبثية.*

*أصبح الدبلوماسيون في وزارة الخارجية في موقف مُحرج، فأمروا بإعادة اعتقال حلمي ومالك دور السينما (218) بعد مرور الثلاثين يومًا، ولكن حلمي واصل التأكيد على ميله للنظام النازي أكثر من ذي قبل، وقال لوزارة الخارجية عام 1939 إنه "المصري الوحيد" العضو في الحزب النازي منذ عشر سنوات (219)، وقال إن الحزب أوضح سابقًا أن المسلمين محل ترحيب في الحزب وأن الحزب ينتظرهم! كما أوضح مارتين بورمان سكرتير حزب هتلر في نشرة حزبية ذات مرة أن "الألمان من مُعتنقي الإسلام (220) يُمكنهم أن يكونوا أعضاء في الحزب النازي مثلهم مثل أتباع الطوائف المسيحية".*

*ولكن في الحقيقة لم ينضم حلمي للحزب النازي قط، وكانت هذه المعلومة الكاذبة حساسة للغاية، لأن الكذبة انكشفت سريعًا، فقد استعلمت وزارة الخارجية لدى إدارة الشعبة الحزبية عنه (221)، ومن العجيب أنه لم يُعاقب على هذه الكذبة، ربما ضحكوا في وزارة الخارجية من ادعائه هذا ورأوا فيه مبالغة في التقرب من أجنبي صديق لألمانيا. لقد كان استراتيجيو الحزب النازي في غاية الحرص على كسب ولاء المسلمين، وربما رأوه أمرًا جيدًا أن يدعي أحد المسلمين التقرب إليهم، حتى ولو على حساب الحقيقة.*

لقد كان بعض معارف حلمي من المسلمين يتزلفون إلى النازيين حقًّا ويتقربون منهم، بل وكانوا يكسبون النقود عن طريقة ترجمة المنشورات الدعائية أو كتاب هتلر التحريضي "كفاحي" إلى العربية، رغم أن هتلر نفسه عندما سُئل عن شتائمه ضد "تحالف المسلمين العجزة" في كتابه الذي صدر قبل 15 عامًا وافق على "غض الطرف عن ترجمة بعض المواضع غير المناسبة في ظل الأوضاع السياسية الحالية بالنظر إلى شعور الشعوب العربية" (222). ولم يكن حلمي هو المسلم الوحيد في برلين الذي بدأ خداع النازيين، فعلى الأقل ظاهريًّا شارك الجميع في لعبة النازيين، مثلًا دكتور عبد الله إمام مسجد فيلمرسدورف استبدل في خطبته التي تحمل عنوان "ماذا قدم الإسلام للبشرية" كلمة "الديمقراطية" ببساطة بكلمة "المجتمع الشعبي" (223)، وفي مجلة "224" (Moslemische Revue) منح الفرص أكثر لأولئك الذين يعتقدون بوجود تشابه بين الإسلام والنازية، وهو ما كان يسعد وزارة الدعاية النازية.

أحيانًا كان ذلك نفاقًا حقيقيًّا، ففي المسجد بدأ مُعتنقو الإسلام الجدد من الألمان، ممن ينتمون عن اقتناع لمنظمات يهودية مثل فريتس "حكمت" باير، بدأت تكون لهم تدريجيًّا اليد العليا، وبدأت الأغلبيات تتغير في مجلس الإدارة، وأحيانًا كان الأمر مجرد مسرحية، لأن المسجد رغم هذا التخفي ظل مُحافظًا على الكاتب اليهودي هوجو "حامد" ماركوس كمدير تنفيذي له، وعهد المسجد إلى هذا الكاتب اليهودي أيضًا بعد عام 1935 بترجمة القرآن والتعليق عليه ودعمه ماليًّا ودبرت له نهاية المطاف عام 1938 سرًّا تأشيرة سفر إلى ألبانيا المسلمة ومنها إلى الهند البريطانية (225)، وكان يعيش في المنفى عندما نشروا ترجمته للقرآن عام 1939 وقدموها بكل فخر، ولأسبابٍ سياسية اضطروا إلى نسبة هذا العمل الذي يمثل أول ترجمة ينجزها مُسلم إلى أشخاص آخرين (226).

عندما كانت آنا تنظر إلى حلمي، كانت ترى رجلًا في سن والدها. لقد وعد والدها الحقيقي لاديسلاوس بوروس بعد الطلاق في رومانيا أن يأتي مرتين كل عام لزيارة ابنته، ولكنها لم تره في برلين إلا مرةً واحدةً عندما كانت في الثالثة من عمرها (227). كانت أوضاعها جيدة عند حلمي، لها غرفتها الخاصة وكانت تحب الطبخ فتولت هي شؤون المطبخ (228)، كما كانت بارعةً أيضًا في الأعمال اليدوية مثل الغزل والتطريز، وكانت أيضًا على وفاق مع إيمي خطيبة حلمي، عاش ثلاثتهم سويًّا، كان عمر إيمي عندما خُطبت إلى حلمي 23 عامًا، وهي الآن –عام 1942- في السادسة والعشرين من عمرها.

وقد شاركت إيمي بدورها في هذه التمثيلية، فهي أيضًا اضطرت لخدمة أولئك الذين كانت تود في الأصل مقاومتهم. خلال فترة اعتقال البوليس السري

*لحلمي كانت إيمي خائفة جدًّا عليه، ولكنه ألمح لها بما عليهما فعله، فتصنعت النبرة النازية وساعدته قدر استطاعتها، فكتبت إلى وزير الخارجية فون ريبينتروب تقول: "فلتغفروا لي إن تقدمت بهذا الرجاء الحار لفخامتكم بأن تعرضوا الالتماس المُرفق على زعيمنا المُبجل" (229).*

*وطلبت منهم أن يعفوا عن حلمي "المُخلص للحكومة النازية"، وكان حلمي قد نسق معها اختيار هذه الكلمات، فكتبت إيمي إلى هتلر: "لقد عمل دكتور حلمي من أجل الحزب النازي منذ عام 1929 وتعرض ذات مرة للضرب من مناوئي الحزب... من أجلكم سيدي الزعيم!" (230).*

*كانت فرصة حلمي في إنقاذ نفسه وحماية آنا مُرتبطة باستمرار الانطباع بأنه عربي صديق للنظام، وكان بإمكانهما التحرك بحرية طالما ظلت هذه الواجهة موجودة، حتى بعد أن انتقل مركز ترحيل يهود برلين ليكون قريبًا منهم، إذ من بداية أغسطس 1942 لم تعد قطارات الترحيل تنطلق من محطة قطارات البضائع في جرونيفالد، بل من محطة البضائع في موابيت على بعد بضع دقائق سيرًا على الأقدام من شقة حلمي. وقد انطلقت رحلة من هناك إلى مدينة ريجا بتاريخ 15 أغسطس 1942 وعلى متنها 997 شخصًا، حينها كانت آنا تسكن عند حلمي في موابيت، وفي الخامس من سبتمبر انطلقت رحلة أخرى إلى ريجا وعلى متنها 796 شخصًا، وفي 26 سبتمبر رحلة تُقل 1049 إلى راسيكو، وفي 19 أكتوبر قطار إلى ريجا يحمل 959 إنسانًا، وفي 26 أكتوبر قطار إلى ريجا وعلى متنه 798 شخصًا، كانوا يجمعون اليهود ويصفونهم وينقلونهم إلى حيث يُقتلون، أحيانًا كان بوسع المرء سماع الضجيج والصرخات، كانت الأمور مُرتبكة في موابيت، وفي الوقت نفسه زاد البوليس السري من ضغطه على المُختفين بأن بدأ يكشف أماكن تجمعهم ويبذل جهدًا أكبر في حملات المداهمة التي تستهدفهم.*

*وبدايةً من نوفمبر 1942 كانت الوجهة الوحيدة لقطارات الترحيل هي مُعسكر أوشفيتز، في 29 نوفمبر 1942 انطلق قطار من موابيت إلى هناك يُقل 998 شخصًا، وفي 9 ديسمبر قطار يُقل 994 شخصًا، وفي 14 ديسمبر 815 شخصًا، وفي 2 يناير 1943 1196 شخصًا، وفي 29 يناير 1004 أشخاص، وفي 13 فبراير 952 شخصًا، وفي 19 فبراير 997 شخصًا، وفي 26 فبراير 913 شخصًا، وفي الأول من مارس 1722 شخصًا، وفي الثاني من مارس 1756 شخصًا، وفي الثالث من مارس 1726 شخصًا، وفي الرابع من مارس 1120 شخصًا، وفي السادس من مارس 665 شخصًا، وفي 12 مارس 941 شخصًا، وفي 19 أبريل 681 شخصًا، وفي 17 مايو 406 أشخاص. عندما كانت آنا تغادر منزلها بهويتها المُزيفة لم تكن تعلم أبدًا أن كانت ستعود ثانيةً أم لا، إذ لو*

*تعرف عليها أحد من حياتها الماضية في الشارع فقد يفتضح أمرها في أي وقت.*

*لم يعد البوليس السري يعتمد في بحثه عن اليهود المختفين على المُخبرين من "المجتمع الشعبي" وحسب، بل جند يهودًا للبحث (231)، أناسًا فقراء اشتروا نجاتهم بالخيانة، ولكنهم قُتلوا نهاية الأمر أيضًا. وبالذات فيدور فريدلاندر المدعو "بالقابض" (232)، الذي يُقال إنه كشف ما يصل إلى 300 من اليهود المُختفين، لقد ازداد نشاط المُطارِدِين.*

*عمل حلمي وإيمي على تحسين شخصية "نادية" طالما صمدت هذه الواجهة، بل أكثر من ذلك، كانا يخاطران بحريتيهما المحدودة، فلا أحد يعلم إلى متى يحتفظان بهذه الحرية. وقد أنقذا أناسًا آخرين باستخدام الوسائل التي أتاحها لهما النازيون كطبيب ومساعدة طبيب.*

*ففي عيادتهما في منطقة شارلوتينبورج كتبا إجازات مرضية لعمال السخرة، وأكدا للألمان أن هؤلاء قد بلغ بهم المرض مبلغًا يمنع من الاستعانة بهم في الأعمال البدنية الشاقة، وفي النهاية شهدا بأن البعض لا يصلح للخدمة في المقاومة الشعبية، وهي القوة الأخيرة المتبقية في برلين التي تشتعل بشدة، وتابعا علاج اليهود سرًّا (233)، وهو الأمر الذي لم يعد خافيًا على البوليس السري وصار سببًا في زياراتهم الصاخبة. "سيكون السيد الطبيب مُتاحًا لكم على الفور!" هكذا كانت "نادية" تطمئنهم بود، "لحظة واحدة فقط، سأحضر لكم السيد الطبيب".*

*كانا يُمثلان سويًّا مسرحيةً خطرة كمسلمَين يدينان بالولاء للدولة النازية، ولم يكن الخطر في ذلك مجرد شكوك البوليس السري فيهم، بل كان الخطر الأكبر عندما بدأ البوليس السري يصدق كلامهما.*

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

*(209)- حوارات مع كارلا جوتمان غرينسبان وتشارلز جوتمان في سبتمبر 2016.*

*(210)- نفس المرجع.*

*(211)- مدونة وزارة الخارجية بتاريخ 29 أبريل 1941، الأرشيف السياسي لوزارة الخارجية R 29863.*

*(212)- سيرة ذاتية بخط اليد لآنا في ديسمبر 1953، أرشيف مقاطعة برلين B Rep. 078 رقم 0561 (مخزن الملفات "أبطال لم تتم الإشادة بهم"، طلب*

*محمد حلمي Bl. 13-16) هنا 15 وكذلك حوارات مع كارلا جوتمان غرينسبان وتشارلز جوتمان في سبتمبر 2016.*

*(213)- حوارات مع كارلا جوتمان جرينسبان وتشارلز جوتمان في سبتمبر 2016.*

*(214)- كتيب "المسلمون"، عام 1944 بالتقريب، أرشيف الولاية، الأرشيف العسكري RS 3-39/1 مقتبس من دافيد موتاديل "الإسلام وحرب ألمانيا النازية"، كامبريدج، ماساشوستس/ لندن 2014 ص 250.*

*(215)- مكاتبة حلمي إلى هتلر بتاريخ 8 ديسمبر 1939، الأرشيف السياسي لوزارة الخارجية R27262.*

*(216)- مدونة لمارتين بورمان بتاريخ 19 نوفمبر 1939، الأرشيف السياسي لوزارة الخارجية R27262.*

*(217)- مكاتبة وزارة الخارجية إلى البوليس السري "جيستابو" بتاريخ 17 نوفمبر 1939، الأرشيف السياسي لوزارة الخارجية R27262.*

*(218)- قضى حلمي الفترة من 8 ديسمبر 1939 حتى 5 يناير 1940 في حرية. مدونة ألفريد هيس بتاريخ 24 أكتوبر 1940 وكذلك مدونة بتاريخ 29 أبريل 1941، الأرشيف السياسي لوزارة الخارجية R29863.*

*(219)- مكاتبة حلمي إلى القنصل دكتور ميلشز 13.13.1939 (sic)، الأرشيف السياسي لوزارة الخارجية R27262.*

*(220)- منشور رقم 124/43، المركز الرئيس للزعيم (الفوهرر) بتاريخ 2 سبتمبر 1943، أرشيف ولاية برلين NS 6/342.*

*(221)- قارن الصحيفة الجنائية السياسية للعرض على وزارة الخارجية، إقليم الحزب النازي ببرلين، الدائرة الحادية عشرة، مجموعة المكان "فايكينج" بتاريخ 13 ديسمبر 1939، الأرشيف السياسي لوزارة الخارجية R27262.*

*(222)- خطاب وزارة الإعلان إلى وزارة الخارجية بتاريخ 12 نوفمبر 1936، الأرشيف السياسي لوزارة الخارجية R121232.*

*(223)- قارن مارك دافيد باير "تصادم المسلمين بالنازية والهولوكوست": الأحمدية ببرلين وتحول اليهود إلى الإسلام هوجو ماركس، في: الصحيفة الأمريكية التاريخية 120 (2015)، العدد الأول ص 140-171، هنا ص 159.*

*(224)- قارن نفس المرجع.*

*(225)- قارن نفس المرجع ص 158-160.*

*(226)- قارن مانفريد باكهاوزن. حركة أحمدية لاهور في أوروبا، فيمبلاي 2008 ص 77.*

*(227)- حوارات مع كارلا جوتمان غرينسبان وتشارلز جوتمان في سبتمبر 2016.*

*(228)- قارن خطاب آنا جوتمان إلى هنري جوتمان بتاريخ 12 أغسطس 1947، أرشيف عائلة جوتمان.*

*(229)- خطاب من إيمي أرنست إلى يواخيم فون ريبنتروب بتاريخ 16 أبريل 1940، الأرشيف السياسي لوزارة الخارجية R8045.*

*(230)- خطاب من إيمي أرنست إلى يواخيم فون ريبنتروب بتاريخ 16 أبريل 1940، الأرشيف السياسي لوزارة الخارجية R8045.*

*(231)- قارن بياتي كوسمالا "المساعدة المنكوبة ونتائجها": عقوبة تمييز اليهود عن طريق هيئة المتابعة النازية، في. بياتي كوسمالا/ كلاوديا شوبمان (الناشر): البقاء على قيد الحياة تحت الأرض. مساعدة لليهود في ألمانيا 1941-1945، برلين 2002، ص 205-221، هنا ص 209 وكذلك كريستيان ديركس.*

*(232)- في: بياتي ماير/ هرمان سيمون (الناشر): اليهود في برلين 1938-1945، برلين 2000 ص 233-257.*

*(233)- سيرة ذاتية بخط اليد لآنا في ديسمبر 1953، أرشيف ولاية برلين B Rep. 078، رقم 0561 (مخزن الملفات "أبطال لم تتم الإشادة بهم"، طلب محمد حلمي) Bl. 13-16 هنا Bl. 15.*

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

# في عرين الأسد

*فندق سابق فخم كانت تُقام في قاعات الرقص به حتى عام 1932 حفلات صاخبة، الآن تدهور هذا المبنى الفخم سريعًا، تُخفي الواجهة المُكلفة لفندق الأمير ألبريشت بطرازها الجديد أكثر من مئة حجرة وجناح، ويقوم الآن رجال الوحدة الوقائية (SS) بزيهم الأسود على حراسة الفندق. في هذا المبنى يتم تنسيق عمليات قتل يهود أوروبا بواسطة رئيس الوحدة الوقائية (SS) هاينريش هيملر.*

*يقع شارع الأمير ألبريشت بجوار شارع فيلهيلم مباشرةً، وكان هذا الأخير قد أضحى مركز السلطة في الرايخ الألماني، فاصطفت فيه أهم الوزارات وفيه أيضًا دار المستشارية الخاصة بهتلر، ترفرف فيه الأعلام وتجوبه أساطيل السيارات السوداء. وقد عششت فيه كتيبة الوحدة الوقائية (SS) منذ عام 1934، وأخذت تنتزع الصلاحيات الحكومية والمزيد من المباني عامًا بعد عام، وانتشرت في كل أوروبا بإرهابها ومعسكرات الموت التابعة لها، ولكن هنا في هذا الفندق يقع مركز التحكم الخاص بها، في جميع الأقبية تقريبًا تجري عمليات التعذيب، وامتلأت الشوارع بالمنتمين إليها في زيهم المعروف. باختصار: كان هذا آخر مكان على وجه الأرض ترغب يهودية مُختبئة في زيارته عام 1943، أو شخص يُخفي يهودية.*

*دعت الوحدة الوقائية (SS) الدكتور حلمي و"نادية" إلى هذا المكان بالذات. بالطبع يصعب وصف شعورهما عندما توقفت سيارتهما أمام الفندق، فلم يخبرهما أحدٌ عن سبب الاستدعاء، بل قيل لهما فقط إن على السيد الطبيب الحضور بحقيبته الطبية وعليه ألا ينسى أيضًا إحضار مساعدته المسلمة. (234)*

*في الطابق الأرضي من فندق الأمير ألبريشت انساب النور بين الأروقة المُستديرة، وملأ حلمي و"نادية" بطاقة الزيارة لدى حراس الوحدة الوقائية (SS) كما ينبغي، وفعلا كما قيل لهما وركبا المصعد متجهين إلى أعلى، ولما فُتحت أبواب المصعد وجدا نفسيهما وسط مشهد غريب: بعض الرجال يقفون منهمكين في الحديث، وينصب جل الاهتمام على رجل قصير أحمر الشعر واللحية أزرق العينين. كان هذا آخر ما يتوقعه حلمي وآنا: هذا الرجل الملتحي، فلسطيني يقارب الخمسين من العمر، يرتدي طربوشًا أبيض وجلبابًا أسود، إنه أمين الحسيني مفتي عام القدس، كان صاحب طلعة مُثيرة للإعجاب، وحتى مرافقوه كانوا يرتدون ملابس أنيقة. مُنذ نوفمبر من عام 1941 يعتني رجال الوحدة الوقائية (SS) بهذا الوفد المكون من بضع عشرات من الرجال،*

*كانوا جميعًا ضيوف شرف في برلين، وكان ذلك ربما المثال الأوضح على الحملة النازية لتجميل الصورة في العالم الإسلامي. (235)*

*لقد استدعوا حلمي و"نادية" لتقديم الرعاية الطبية للسادة الضيوف، من مسلمين لمسلمين –هكذا تصور رجال الوحدة الوقائية (SS) الأمر- لم يكن لهما من خيار في دخول عرين الأسد، إذ كيف يجرؤن على رفض طلب الوحدة الوقائية (SS)؟ ولكن مجرد دعوتهما للحضور هنا كان علامةً على نجاحهما في تأدية دوريهما كمسلمين صديقين للنازيين ويدينان بالولاء للنظام، بالقطع لم تكن هناك أي شكوك تحوم حولهما، وحتى الآن لم يكشف أحد عن قناع آنا.*

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

*كان مفتي عام القدس رجلًا خطيرًا على اليهود، إذ قال ذات مرة في إحدى خطبه الدعائية: "يُمكن مقارنة اليهود بالحشرات المثيرة للأمراض، عندما تكون بعيدةً عنا قد يظنها المرء حيوانات مسالمة، لكن عندما تهاجمنا وتبلونا بالأمراض، فعندها لا تجدي معها إلا الوسائل الجذرية" (236). لم يكن المفتي العام يتظاهر بالتقارب الأيديولوجي مع الألمان المعادين لليهود، وإنما كان يمثل هذه الأيديولوجية عن اقتناع. والآن تقف آنا التي تمثل دور فتاة مسلمة تتحدث العربية على بعد أمتار قليلة منه.*

*كان المفتي العام قد لجأ مُبكرًا إلى الألمان، ففي ليلة الأول من أبريل من عام 1933 –في ذلك اليوم الذي كتب فيه رجال كتيبة العاصفة (SA) أمام متجر الفاكهة الذي تملكه عائلة آنا للمرة الأولى "لا تشتروا من اليهود"- في ذلك اليوم قدم المفتي تهنئته لسفير الرايخ الألماني في القدس وقال ممتدحًا إن المقاطعة التي تؤثر على ثراء اليهود (237) ستلقى ترحيبًا ودعمًا كبيرًا في العالم الإسلامي، وهو كممثل لمسلمي فلسطين لا يملك إلا أن يؤيد الحكومة النازية في هذا المسعى.*

*في مصر كانت القوات الألمانية تقاتل ضد بريطانيا العظمى في الصحراء، وفي العراق كان رشيد علي الكيلاني المناهض لبريطانيا قد انقلب على البريطانيين، وتم إسقاطه بعد أسابيع قليلة فهرب إلى برلين مثل المفتي العام، لكن ليس قبل أن يتسبب في مذبحة دامت يومين في بغداد قُتل فيها نحو 200 يهودي ودُمر فيها 900 منزل فيما سيُعرف في التاريخ بأحداث الفرهود، وقد فُتحت لهما الأبواب على مصراعيها في برلين حيث كان النظام النازي يعلم جيدًا كيف يستخدمهما.*

*كان المفتي العام قد نال شهرةً معقولة من قبل، فعندما هرب زميل حلمي دكتور ليفكوفيتس بعد تعرضه للضرب إلى فلسطين في خريف عام 1933، كان المفتي العام يقود إضرابًا عربيًّا عامًّا هناك اعتراضًا على الهجرة اليهودية (238)، وعندما وقع في مشاكل مع سلطات الانتداب البريطاني في فلسطين لاذ بالفرار عبر طرقٍ متعرجة مرورًا بإيران وتركيا إلى إيطاليا، وكان في بعض الأوقات حليقًا ومتخفيًا، ومن إيطاليا نقله هتلر جوًّا إلى برلين في السادس من نوفمبر 1941، أي بعد أيام قليلة من بداية عمليات ترحيل اليهود في العاصمة الألمانية.*

*الطربوش عبارة عن قبعة على شكل مخروط ناقص يُصنع من الصوف المضغوط (اللباد) به حزمة من الخيوط الحريرية، وهذا النوع من غطاء الرأس ليس عمليًّا للأغراض العسكرية، حيث لا يقي من الريح أو المطر أو حتى الرصاص، ولكنه يمكن مرتديه المسلم من ملامسة الأرض بجبهته عند الصلاة. وعندما وصلت شحنة من هذه الطرابيش ذات لون أحمر غامق وخيوط حريرية سوداء ومُحلاة بشعار النسر الألماني وعلامة الجمجمة من المعدن على الجبهة لدى الوحدة الوقائية (SS)، تدخل قائدها هيملر شخصيًّا وعبر عن استيائه من التصميم، وكتب في رسالة إلى رئيس جهازه الإداري أوزفالد بول الذي أُعدم لاحقًا في نورنبيرج أن الطرابيش "يجب أن تكون غير ملونة وأقصر قليلًا" حتى يمكن تمييزها بشكلٍ كافٍ عن طرابيش الأعداء المغاربة. رغم أن المغاربة المشهورين بطرابيشهم الأطول على الإطلاق لم يكن لديهم نسر ولا جمجمة، وقال هيملر: "هذه الأمور الشكلية لها أهمية كُبرى في تثبيت الفِرقة". (239)*

*كانت هذه الطرابيش مُخصصة للبلقان، حيث جندت القوات الألمانية خلال اجتياحها لهذه البلدان عام 1941 مسلمين ألبانًا وبوسنيين لمساعدتها على ملاحقة المقاومين التابعين لتيتو، والآن تجتهد الوحدة الوقائية (SS) في استرضائهم بشتى الطرق، خصوصًا عن طريق تذكية المشاعر الدينية ودعم هوية إسلامية مشتركة فيما بينهم حسب تعبير الوحدة الوقائية (SS) في تناقض عجيب مع السياسة الألمانية التقليدية. وطلب الألمان من المجندين الالتزام بمواعيد الصلاة، وأخذ الأئمة يخطبون على الجبهات عن هتلر "الذي يقاتل في سبيل الله والإيمان والأخلاق ومن أجل حياة أجمل يسودها العدل" (240)، هكذا قال إمام فرقة الخنجر البوسنية –التي اكتسبت اسمها من كلمة الخنجر العربية- التابعة لسلاح الوحدة الوقائية (SS) في خطبة احتفالية عام 1943.*

*وقد استخدم النازيون المفتي العام في مثل هذه المسرحيات الدعائية، وكان عليه تجنيد متطوعين مسلمين وإثارة الشعوب المسلمة عبر خطب إذاعية.*

*وقد حصل نظير خدماته هذه على فيلا في برلين (241) تمت مصادرتها لصالح الآريين (242) وحصل على مقرات ومكاتب في شارع جوته في منطقة تسالیندورف، وكذلك في فندق أدلون وفي المعهد اليهودي السابق في شارع كلوبشتوك، وجملوا له إقامته براتب شهري بلغ 75000 مارك وحراس أقوياء من الوحدة الوقائية (SS)، وبمنحه الأمل في أن يدعم هتلر يومًا ما خطته الرامية إلى إعلان دولة فلسطين المستقلة، ربما يصبح المفتي العام حاكمها الفعلي.*

*من بين كتائب "المتطوعين" الست التي أنشأها الجيش الألماني في الشرق كان هناك أربع كتائب من المسلمين: الكتيبة القوقازية المسلمة وتضم من 25000 إلى 38000 رجل، كتيبة شمال القوقاز وتعدادها 28000 جندي، وكتيبة تتار الفولجا وتعدادها من 35000 إلى 40000 جندي، والكتيبة التركستانية وتضم 110000 إلى 180000 جندي، وكانت شاراتهم تحمل شعار "Biz Alla Bilen" أي: "الله معنا"، وأعلى الشعار مسجد شاه السند في سمرقند وهو أحد أقدس الأماكن بالنسبة لمسلمي آسيا الوسطى. وقد شاركت ثلاث كتائب مسلمة في الجانب الألماني في معركة ستالينجراد. وفي خريف عام 1944 سحبت قوات الوحدة الوقائية (SS) فرقتها الأولى من المسلمين الشرقيين لفترة قصيرة من الجبهة الشرقية للاحتفال بعيد الفطر يوم 18 سبتمبر وأقيمت صلاة جامعة مع شروق الشمس. (243)*

*من غير المؤكد إن كان الدين هو الدافع وراء هؤلاء "المتطوعين"، لقد كانوا أسرى حرب، وغالبًا هم لم يرتدوا الزي الألماني إلا لينجوا بأنفسهم، ورغم ذلك فقد كانت الوحدة الوقائية (SS) تؤمن بقوة الدعاية الدينية التي تمارسها، "الإسلام قريب جدًّا من فلسفتنا"، هذه الجملة تُعزى لقائدها هيملر الذي قيل إنه يقدر كثيرًا فكرة الشهادة في الإسلام والحور العين الاثنتين والسبعين التي يُقال إنها تنتظر الشهداء في الجنة، "هذه لغة يفهمها الجنود جيدًا". (244)*

*كانت "نادية" عربية، لكن آنا في الحقيقة لم تتحدث العربية، هي كانت مُساعدة الدكتور حلمي لا أكثر ولا أقل، وكانت تتوارى في الظل ولا تبتعد عنه حتى لا تتورط في حديث مع بعض السادة العرب، وربما ساعدها في ذلك أنه كان يُنتظر غالبًا من فتاة مثلها ألا تتدخل في حديث الرجال الكبار، وإذا حدث ووجه لها أحد مساعدي المفتي كلامًا فربما استطاعت التهرب منه بأن تقول ما اتفقت مع حلمي على قوله في مثل هذه الحالات: إنها عاشت في دريسدن منذ طفولتها وللأسف الشديد لم تُتح لها الفرصة لتعلم اللغة العربية بشكل جيد. ولكن على أي حال كان هذا بلا شك الاختبار الأكبر لقدرتها على التنكر، وإذا حدث وسألها أحد أكثر من ذلك، كان عليها أن تبتكر جوابًا سريعًا.*

*لم يرحم المفتي العام حتى أطفال اليهود، بل على العكس فقد اعترض نهاية عام 1942 على الخطة الألمانية الرامية إلى السماح لأربعة آلاف طفل يهودي من سلوفاكيا وبولندا والمجر بالسفر إلى فلسطين بوساطة الصليب الأحمر في مقابل إطلاق سراح مدنيين ألمان مُعتقلين، (245) ونجح المفتي العام في إيقاف العملية، ونقل تخوفاته لقائد الوحدة الوقائية (SS) هيملر خلال تناول الشاي معه في فندق الأمير ألبريشت قائلًا: هؤلاء الأطفال سيكبرون خلال بضع سنوات وسيشكلون "دعمًا للعنصر اليهودي في فلسطين".*

*في أغسطس من عام 1942 ألقى النازيون 296000 منشور على سوريا يحذرون فيها من قيام دولة يهودية قد تغطي أجزاء كبيرة من منطقة الشرق الأوسط في حالة انتصار بريطانيا عسكريًّا، ونهج المفتي العام ذات النهج في خطبته الإذاعية بمناسبة رأس السنة الهجرية بتاريخ 17 ديسمبر 1944 والتي أذيعت في جميع أنحاء العالم العربي: "لن نرضى بأقل مما ترضى به الأمم الحرة التي انتزعت لنفسها استقلالًا حقيقيًّا، استقلالًا لا يدع لأجنبي أو ليهودي مكانًا على أراضينا، استقلالًا لا تكون فيه أرض العرب إلا للعرب". (246)*

*وقد أكد هتلر للمفتي العام في برلين أن "نضال ألمانيا الذي لا هوادة فيه ضد اليهود" (247) يتضمن أيضًا "معارضة قيام وطن لليهود في فلسطين، والذي لن يكون إلا مركزًا قوميًّا للتأثير الهدام للمصالح اليهودية". غير أن المفتي العام انتظر بلا جدوى تعاطيًا ملموسًا من النازيين مع خططه لإقامة دولة فلسطينية.*

*إذًا فقد ألقت الأقدار بآنا قرب هذا الرجل. "لم ترد كلمة الخوف على لسانها قط" (248)، هكذا حكى ابن آنا بعد سنوات طويلة، ولم يكن يبدي إعجابه بها وحسب إذ مرت بتجربةٍ كهذه وهي في السابعة عشرة من عمرها، بل كان يتكلم أيضًا بذهول وحيرة. ربما يكمن السر في قدرة آنا على كتمان مشاعرها بداخلها –هذه السمة التي نظرت إليها في طفولتها بوصفها عجزًا يعذبها ويمنعها من الحديث مع الآخرين عما يختلج داخلها- أما الآن فقد أنقذ هذا الانغلاق على نفسها حياتها.*

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

*(234)- لقاءات مع كارلا جوتمان غرينسبان وتشارلز جوتمان في سبتمبر 2016.*

*(235)- وصل مفتي القدس أمين الحسيني إلى برلين في الأسبوع الأول من نوفمبر 1941 في محاولة لانتزاع اعتراف دول المحور بحق الدول العربية في الاستقلال، واستقبله أدولف هتلر في 28 نوفمبر 1941 (المُراجع).*

*(236)- كلاوس ميخائيل مالمان/ مارتين كوبرز، الهلال والصليب المعقوف (رمز النازية). المملكة الثالثة "العرب وفلسطين"، دارمشتات 2006 ص 115.*

*(237)- من نفس المرجع ص 49.*

*(238)- إضراب احتجاجي للعرب، قارن نفس المرجع.*

*(239)- دافيد موتاديل، الإسلام وحرب ألمانيا النازية، كامبريدج، مساشوستس/ لندن 2014، ص 260.*

*(240)- خطابات القائد وإمام الفرقة بمناسبة عيد الأضحى في فرقتنا: قسم اليمين: يتحدث القائد وإمام الفرقة خلال حفل عيد الأضحى. في: هاندزار 7/ 1943، مقتبس من نفس المرجع ص 255.*

*(241)- أقام الحسيني في فيلا بمنطقة زيليندورف، جنوب غرب برلين. (المُراجع)*

*(242)- قارن نفس المرجع ص 42، مالمان كوبرز، الهلال والصليب المعقوف (رمز النازية)، ذكر في موضع آخر ص 41 وما بعدها، 108، 319.*

*(243)- موتاديل، الإسلام وحرب ألمانيا النازية، ذكر في موضع آخر ص 254 وما بعدها.*

*(244)- مقتبس من مذكرات "فيليكس كارستن" الطبيب الخاص لـ هيملر، رمز الموت والوفاء. هاينريش هيملر دون الزي الرسمي. من مدونة المذكرات اليومية للمستشار الطبي فيليكس كارستن، هامبورج 1952، ص 203 (1 ديسمبر 1942).*

*(245)- مالمان/ كوبيرس، الهلال والصليب المعقوف (رمز النازية)، ذكر في موضع آخر ص 117.*

*(246)- مقتبس من جيرهارد هوب (الناشر)، أوراق المفتي، وخطابات، ومذكرات تفاهم، وحديث ونداء "أمين الحسيني" من المنفى، 1940 - 1945، برلين 2001، صفحة 233.*

*(247)- مالمان/ كوبيرس، الهلال والصليب المعقوف (رمز النازية)، ذكر في موضع آخر ص 107.*

*(248)- حوار مع تشارلز جوتمان في سبتمبر 2016.*

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

# مُسلمة... بين عشية وضحاها

*خيم الظلام على المنزل الكائن في حي موابيت، لم يكن على آنا الخضوع مجددًا لامتحان آخر أو اجتياز مراسم أخرى، ورغم ذلك شعرت بالتوتر عندما طرق ذلك الرجل الذي كان حلمي في انتظاره باب الشقة، كانت آنا تعرف الرجل القصير المحني ذا الشعر الأبيض القصير والشارب الصغير الذي وصفه أحد المراسلين الألمان مُحقرًا منه لاحقًا بقوله: "هذا الشارب القصير يزيد من وضوح ملامح وجهه التي تشبه الفأر" (249). لقد سبق أن رأته من قبل: في فندق الأمير ألبريشت لدى الوحدة الوقائية (SS)، حيث كان يهمس للمفتي العام ببعض الكلمات بالعربية، ما زالت آنا تذكر إيماءاته جيدًا، كيف كان يشد شعر أنفه خلسةً، كيف كان ينفخ شدقيه أو يضع إصبعه على شفتيه في تآمر، كان الذراع اليُمنى للمفتي العام، كان أحد العاملين في مركز آلة التحريض المعادية للسامية، إنه كمال الدين جلال السكرتير العام للمعهد الإسلامي المركزي في برلين. كيف لها أن تثق به؟ كان هذا هو السؤال الذي وجهته آنا الفزعة إلى حلمي. وحاول حلمي أن يطمئنها قائلًا: بالذات لهذا السبب يُمكنه مساعدتك.*

*لقد بدأ حلمي يخطط من أجل مخرج دائم لآنا، وكانت تلك هي الخطوة الأولى في هذه الخطة: في العاشر من يونيو من عام 1943 رتب لها حلمي الدخول في الإسلام، وكانت الوثيقة التي تثبت ذلك تصدر من المعهد الإسلامي المركزي والذي يرأسه المفتي العام صديق هتلر أمين الحسيني. كان هذا المعهد أيام دراسة حلمي مجرد واحد من الاتحادات والحلقات النقاشية الكثيرة، وقد ترأس صديق حلمي من أيام الدراسة رياض أحمد محمد لبعض الوقت هذه الحلقة في القاعات التي أسسها القيصر والمليئة بصور الجِمال، وقبل ستة أشهر "أُعيد افتتاح" هذا المعهد في احتفالية كبيرة في ظل ظروفٍ جديدة، حيث أقيمت الاحتفالية التي زُينت بالورود في قصر الأمير ألبريشت أو "دار الطيارين"، وهو مبنى مُجاور لمركز هيملر قائد الوحدة الوقائية (SS).*

*في الرابعة والنصف من عصر يوم عيد الأضحى الموافق 18 ديسمبر عام 1942 (250) أمسك المفتي العام بالميكرفون وجعل الناس يهتفون به "زعيمًا للعالم العربي"، وخصوصًا الدبلوماسيين وأصحاب الزي الرسمي حليقي الرؤوس الذين حضروا بكثرة. ولم يعلم المفتي العام في ذلك الحين بالطبع أنه سيشهد على دخول آنا اليهودية إلى الإسلام، كانت خطة حلمي تقوم على أنه لن يلاحظ تمرير فتاة يهودية من وراء ظهره. كان المفتي العام متحالفًا بقوة مع النازيين، لذلك كان حلمي يأمل أنهم لن يدققوا كثيرًا في البحث عن*

*أصول أعضاء جاليته المزعومين، وإن فعلوا فقد يغضوا الطرف عنهم، فمن كان سيلاحظ وجود فتاة باسم نادية ضمن أعضاء الجالية؟*

*تبادل حلمي وجلال تلك الليلة التحية بهدوء على باب الشقة حتى لا يسمع جيرانهم في 7 شارع كريفيلدر شيئًا عبر الجدران الرقيقة.*

*كانا صديقين قديمين، فجلال مصري مثل حلمي، وقد حضرا إلى برلين معًا، وتعلما الألمانية معًا عام 1922 بعد التخرج من المدرسة مباشرة، ثم سلك جلال طريق السياسة واشتُهر بخلاف حلمي باحتجاجه الصاخب على الاستعمار الحاكم في مصر وشارك في برلين في جميع الاحتجاجات ورفع اللافتات أمام السفارة البريطانية وسلم السفير عرائض احتجاجية موقعة.*

*عربي يُحرض ضد البريطانيين؟ أعجب هذا النازيين كثيرًا، فجعلوا جلال يدرس علم الصحافة "والتربية القومية" (251)، كما طلبوا منه عام 1933 تولي تحرير مجلة "بارق الشرق" (252) أي "أخبار الشرق" التي أسستها وزارة الدعاية وكانت توزع على وجه الخصوص على جبهات الحرب في شمال إفريقيا وعلى أسرى الحرب. وبالطبع فقد ابتعدوا عن جلال عندما اعتقلوا بعض العرب في سبتمبر 1939 وكان حلمي وقتها من بين المعتقلين، وقد مدحته وزارة الخارجية وذكرت أنه "محل ثقة" وأنه "مفيد" للنظام النازي، ولذلك كان جلال يتمتع بالحماية، لكنه لم ينس أصدقاءه، فقد زار حلمي في حبس البوليس السري وطالب بإطلاق سراحه، حتى وإن كان ذلك دون جدوى، فقد كان جلال معروفًا بصداقته للنازيين، وكان يحاول وقتها أن يقنعهم بأن حلمي أيضًا صديق لهم وأنه يجب عليهم أن يحسنوا معاملته لهذا السبب.*

*رغم ذلك كان جلال الآن مُستعدًّا لمساعدة الفتاة اليهودية مع حلمي، ليلًا، بواسطة أوراق خطابات وأختام مسروقة (253). كان حلمي يعرف صديقه جلال جيدًا ليدرك أنه أيضًا يؤدي دورًا (254)، فهو وإن كان يعمل مع المفتي العام، إلا أنه لا يشاركه العداء للسامية، فلو كان متطرفًا مثل المفتي العام الذي يتمنى الموت لليهود عن قناعة تامة، لما شارك الآن في خطة حلمي السرية.*

*رُبما شعر الصديقان القديمان بطمأنينة وبهجة وهما يشرحان خطتهما لآنا، كانت الشقة الكائنة في حي موابيت مُظلمة والباب مُغلقًا والستائر مُغلقة كذلك، ربما جعلوا آنا تنطق بالشهادتين: لا إله إلا الله مُحمدٌ رسول الله، أو ربما استغنيا عن هذا الجزء، فقد كان الموقف عبثيًّا بما يكفي، كما أن الأمر ليس عملًا دينيًّا بالمرة، بل إنساني.*

*لم تحاول إيمي خطيبة حلمي أبدًا أن تعتنق الإسلام، ولم يقل حب حلمي لها أبدًا لهذا السبب (255)، ورغم ذلك فسيظل طوال حياته يصف نفسه بأنه مسلم ويحترم الطقوس الدينية، وماذا عن الشهادتين؟ سيكون تدنيسًا لهما أن يرددهما المرء دون أن يعنيهما بحق.*

*ولم تكن عائلة آنا أيضًا مُتدينة أبدًا، كانوا بالطبع جزءًا من الجالية اليهودية في برلين (256)، وكانوا في الربيع يغنون ويشربون النبيذ احتفالًا بعيد الفصح.*

*ولكن ربما أعدت والدة آنا الكفتة المجرية المخلوطة باللبن (257)، إنها حقًّا رائعة المذاق، لكنها ليست حلالًا على الإطلاق، وكانوا يهنئون بعضهم بعضًا بعبارة "Massel tov" العبرية، رغم أنها ليست التحية المناسبة في الأعياد، فهي تعني "ألف مبروك" (258) ولا تعني "عيد سعيد". وبعد أيامٍ قليلة كانوا يهنئون بعضهم بعضًا بعيد القيامة (259)، فقد كانوا يأخذون الأمور ببساطة شديدة.*

*رغم ذلك ستنظر آنا إلى نفسها طيلة عمرها على أنها يهودية. كان معلومًا لحلمي وجلال أن دخولها الإسلام مجرد مسرحية، ولكنهما لم يباليا بذلك أيضًا.*

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

*كان جلال قوميًّا عربيًّا يتمنى هزيمة القوى الاستعمارية في الحرب حتى بمساعدة النازيين إذا لزم الأمر. عندما كان حلمي والمصريون الآخرون رهن الاعتقال عام 1939، استغل جلال فرصة وجود رياض أحمد محمد في الحبس –منافسه الرئيس- المعتدل سياسيًّا في المعهد الإسلامي، والذي كان يترأس العديد من الاتحادات الأخرى مثل الجالية الإسلامية والجمعية الألمانية الإسلامية، وكان يمثل تيارًا مواليًا لبريطانيا إلى حدٍّ ما ولم يتبنَّ منهجًا مُسلحًا مُعاديًا للاستعمار. إذًا فقد قاد جلال انقلابًا ضد أبناء بلده وعمل في نوفمبر من عام 1939 على تغيير قيادة المعهد الإسلامي في برلين بكاملها وتولى بنفسه منصب السكرتير العام للمعهد (260)، وانتقل بذلك إلى مركز السلطة، على الأقل السلطة الإسلامية المحدودة في برلين.*

*عندما وصل المفتي العام بحاشيته الكبيرة عام 1941 كان في حاجة إلى شخصٍ يُساعده في ألمانيا ويشرح له عادات البلد، فتوجهت الوحدة الوقائية (SS) ووزارة الخارجية إلى جلال الذي يثقون به (261). وفي الوقت نفسه كان حلمي وجلال ما زالا يذكران فترة دراستهما عندما كتب إمام برلين مقاله الأول في جريدة "die Moslemische Revue" ينتقد فيه معاداة السامية "كخطأ ساذج للمسيحيين" (262) وكتب عام 1924 يقول: "دائمًا ما تعرض اليهود للاضطهاد على يد المسيحيين. لقد ذاق العالم مرارًا وتكرارًا النتائج*

*المرة للكراهية القومية والتحيز الديني، لقد شلت الحرب العالمية أوروبا بكاملها وألقت بها في العوز والشقاء، لذلك ينبغي على الشعوب أن تعي أخيرًا وأن تحاول بكل السبل منع تكرار هذا الشقاء ثانيةً، ينبغي أن نعلي من قيمة المُشترك بين الأديان".*

*رغم أن جلال كان يعمل يوميًّا بضمير لصالح المفتي العام، إلا أنه كان يُظهر بين الحين والآخر شعوره عندما يقول المفتي مثلًا إن القرآن عدّد جميع صفات اليهود وأنه "لعنهم وأكد أنهم لن يفعلوا الخير أبدًا لأنهم يحملون لعنة الله، وهذه اللعنة تظهر في شخصية اليهود المنحطة ونزوعهم إلى الشر". (263)*

*ذات مرة أراد قائد الوحدة الوقائية (SS) هيملر –وقد تأثر على ما يبدو من خطب المفتي العام هذه- البحث في القرآن عن مواضع يمكن تفسيرها كأدلة على أن هتلر "قد بُشر به وأنه مُكلف باستكمال مهمة الأنبياء" (264)، فتوجهوا إلى جلال. "هل يعتقدون أن مسلمي برلين بهذا الغباء؟" وألمح جلال بالرفض.*

*ولكن يبدو أنه لم يكن واضحًا بما يكفي، فأحد قادة النازيين الآخرين، وهو إيرنست كالتينبرونر مدير جهاز الأمن في عموم الرايخ الألماني لم يتراجع وادعى أنه يعلم حقيقة هذه الأمور أفضل، فشخصية هتلر تصلح بامتياز أن يكون "المسيح الذي بشر القرآن بعودته والذي سيتغلب على طريقة القديس مار جرجس على العمالقة الذين سيظهرون في نهاية العالم وعلى الدجال ملك اليهود". (265)*

*أرادت الوحدة الوقائية (SS) طباعة مليون منشور من أجل التأثير على موقف مسلمي جنوب شرق أوروبا وكسب تأييدهم وكذلك من أجل دعم التوجهات المعادية للسامية في فلسطين، ولكن المنشور لم يتضمن إلا "جملًا غير مترابطة لا مكان لها من وجهة نظري إلا سلة القمامة" (266) كما أوضح جلال مُعترضًا، ولم يُخفِ رأيه هذا حتى عن وزارة الدعاية وكتب لرجال جوبلز: "هذا للأسف كل ما يسعني قوله حول هذا الأمر".*

*كان مقاس المنشورات التي طبعتها الوحدة الوقائية (SS) هو 13.5 سم x 17.5 سم، وطبع منها -دون اكتراث لاعتراضات جلال الموضوعية- مليون منشور. "أيها العرب، هل تعلمون أنه آن أوان الدجال؟ هل تعرفونه؟ هذا اليهودي البدين أجعد الشعر الذي يخدع العالم ويسيطر عليه ويسرق من العرب أرضهم؟ أيها العرب، هل تعرفون عبد الله؟ لقد ظهر إلى الدنيا وسدد رمحه إلى الدجال وأعوانه وألحق بهم إصابات بالغة" (267). لم يتبق لجلال سوى أن يهز رأسه مستنكرًا.*

*كان يعلم بالطبع أن الإسلام قد ارتفعت أسهمه لدى النظام النازي، وتمامًا مثل حلمي أيقن جلال أيضًا أن في ذلك فرصة للنجاة، فقد بالغ القادة النازيون في تملق الإسلام بشكل عجيب للتقرب من المسلمين (268)، حتى نقل ألبيرت شبير في مذكراته عن هتلر: "عندما أراد العرب الوصول إلى وسط أوروبا عبر فرنسا في القرن الثامن، هُزموا في معركة بواتييه؛ ولو كان العرب انتصروا في هذه المعركة لدانت الدنيا اليوم بأسرها للإسلام". أي أسلمة الغرب كما يسمونها، وتابع هتلر موضحًا أن هذا تصور جميل: "لأنهم كانوا سيفرضون على الشعوب الجرمانية دينًا يناسبهم بعقيدته التي تأمرهم بنشر دينهم بالسيف وإخضاع الشعوب كافة لهذا الدين، ثم ما كان الفاتحون نظرًا لتدنيهم العرقي ليصمدوا طويلًا أمام سكان هذه البلاد الوعرة الأكثر قوة وصلابة، بحيث يكون في النهاية الجرمان المسلمون وليس العرب على رأس الإمبراطورية الإسلامية العالمية". وكان هتلر يختم هذه الحكاية وهو في مخبئه في برلين المشتعلة بقوله: "من حظنا السيئ أننا ندين بالدين الخطأ... كان الدين الإسلامي ليناسبنا أكثر من المسيحية بتسامحها الضعيف".*

*ولكن جلال أدرك مُنذ زمن طويل هذه التمثيلية المكشوفة للنازيين، وأدرك مدى زيف ادعائهم الميل إلى الإسلام في الحقيقة، فقد عايش بنفسه كيف أن مُفكري النازية طرقوا هذه النغمة بعد العديد من التحولات الدعائية. دعوات الأئمة لهتلر، التعبيرات الدينية من أفواه الضباط النازيين، مخاطبة المشاعر الدينية، كل هذا كان مُمكنًا، لكنهم كانوا مرنين للغاية، فقد أعلن هتلر في حفل عيد الميلاد الذي أقامه الحزب النازي في ميونخ عام 1925 أن النازية ما هي إلا "الاتباع العملي لتعاليم المسيح" (269).*

*في بداية العشرينيات في سيرك كرون، وأمام مواطنين كاثوليك بسطاء وجنود اُقتلعوا من جذورهم وأكاديميين منحدري المُستوى شبه مُنظر الحزب النازي نفسه بالمسيح وقال: "نعم أنا قصير القامة، لكن ذات مرة وقف رجل في الجليل، والآن تحكم تعاليمه الدنيا بأسرها". وقد كتب مسؤول الدعاية في الحزب النازي رودولف هيس عام 1921 في خطاب إلى رئيس وزراء بافاريا المحافظ جوستاف ريتر فون كار أن هتلر "شخصية نزيهة صادقة قل أن يكون لها مثيل، طيب القلب مُتدين، وهو كاثوليكي طيب" (270). أكل هذا مُجرد تمثيل؟ بالطبع! تمامًا مثل تقديرهم للإسلام الذي اكتشفوه فجأةً لاحقًا.*

*بدا أن النازيين في محاولتهم الحصول على "الإسلام المعادي بشدة لليهود" الذي يريدونه، عليهم أن يصنعوه بأنفسهم بمساعدة المفتي العام، لقد حاولوا ذلك في دريسدن.*

*من خلال ستائر فيلا في حي بليزفيتس الراقي، كانت ملك عائلة يهودية، ثم صارت بعد ذلك تُستخدم كـ"بيت اليهود"، أي لتجميع اليهود المحكوم عليهم بالموت، ثم أصبحت خالية، من خلال ستائرها كان يمكن للمرء بين الحين والآخر رؤية "مجموعة عمل مسلمة غامضة" (271) تجتمع فيها، وقد دون ذلك فيكتور كليمبرر الذي كان مُختبئًا حينها، وهو أخو أستاذ الطب اليهودي جورج كليمبرر الذي عمل حلمي لديه في المشفى قديمًا. أدخل رجال الوحدة الوقائية (SS) المزهريات والفسيفساء على الطراز الوسط آسيوي ولوحات القرميد المحلاة بآيات قرآنية، (272) كان مشروعًا سريًّا: مدرسة ملالي الوحدة الوقائية (SS). وهناك تم تدريب العشرات من رجال الدين المُسلمين تحت إشراف المفتي العام؛ مُحرضي الغد الموالين للنازيين.*

*كانت برلين بوتقة للحياة الإسلامية هناك، وكان ذلك جيدًا لآنا وجيدًا لـ"نادية": نشأت حياة دائمة التحول والانسيابية، يتحول فيها رولف إلى محمد وإينجبورج إلى أمينة، شاعت الأسماء والألقاب المزدوجة، وقد علم حلمي وجلال ذلك، وخلق ذلك ظروفًا مواتية لتمثيلية تحويل آنا إلى نادية.*

*في عشرينيات القرن العشرين كان الكثير من الباحثين عن معنىً للحياة يأتون إلى المسجد، حتى قال الكاتب الساخر الفرنسي اليهودي إيفان جول حينها: "طوبى للمجانين الذين يولون وجههم صوب التقليديين، صوب الظاهراتية، صوب المسكوكات القديمة، صوب الطاوية أو صوب أي فرقة من هذه الفرق المتنوعة التي تدعي قربًا من الله" (273). وكان من نتيجة ذلك أن ثُلث مُسلمي برلين كانوا من المُتحولين حديثًا إلى الإسلام.*

*لذلك كان من العسير جدًّا أن تجد أحدًا لا يزال مُلمًّا بالأمر جيدًا. "بعض الأرز البوذي، ثلاث ملاعق مياه مسيحية مُقدسة مع قليل من زيت الورد الإسلامي وفص ثوم يهودي ونثرة من أفلاطون" (274)، هكذا كتب جول، "سنحصل من هذا الخليط على كعكة ألذ كثيرًا من جراية الجنود اليومية الملفوفة في مقال صحفي مُشاكس".*

*ظل مسجد فيلمرسدورف يُروج كثيرًا لمدى سهولة التحول إلى الإسلام: "حتى تكون مُسلمًا لا تلزمك أي طقوس، فالإسلام ليس فقط مُجرد دين منطقي واسع الانتشار عملي ومفيد، بل أيضًا يتوافق تمامًا مع الفطرة الإنسانية الطبيعية التي يولد بها كل طفل، لذلك لا يلزم أي تغيير ليصبح المرء مُسلمًا، يُمكن أن يسلم الإنسان دون أن يخبر أحدًا، وإنما هو مُجرد إجراء شكلي تنظيمي أن يعلن المرء إسلامه" (275).*

*ورغم أن النازيين قد حاولوا بواسطة قوانينهم العرقية إقامة حواجز عالية صلبة منيعة حتى لا يتمكن على الأقل اليهود من تجاوزها، غير أن الأمل كان لا*

*يزال يُراود آنا في أن يضيع أثرها وسط هذا الزحام.*

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

*"برلين في 10 يونيو 1943"؛ (276) بدأ جلال يكتب على الآلة الكاتبة، كان ذلك يوم خميس في ليلة صافية بلا سُحب وبلا إنذار قنابل. على ورقة تحول آنا المزعوم إلى الإسلام كتب جلال بخط كبير: إشهار، وأعلى الورقة في رأس الرسالة اسم المفتي العام. "بدخول الآنسة آنا بوروس إلى الدين الإسلامي أصبحت الآن مُسلمة". ووقع جلال على ذلك.*

*وبذلك أصبحت نادية الشخصية الخيالية في تلك الليلة للمرة الأولى واقعًا رسميًّا على الورق.*

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

*(249)- N.N. تقديم جلال، مجلة دير شبيجل رقم 17 / 1959، بتاريخ 22 أبريل 1959.*

*(250)- مالمان/ كوبيرس، الهلال والصليب المعقوف (رمز النازية)، ذكر في موضع آخر ص 114.*

*(251)- سنوات دراسة جلال: مراجعة جيرهارد هوب "ما بين الجامعة والشارع". الطلاب المصريون في ألمانيا (1849-1945)، في كونراد شليفاك/ غازي شانيك، العلاقة بين جمهورية ألمانيا الاتحادية وجمهورية مصر العربية، فورتسبرج 2002، صفحة 31/41، هنا صفحة 39.*

*(252)- قارن المرجع نفسه، ص41.*

*(253)- خطاب بتوقيع غير واضح، الأرشيف السياسي لوزارة الخارجية، R29863، انظر أيضًا: تركة أ. دكتور جيرهارد هوب، مركز الشرق الحديث، برلين 01.15.061.*

*(254)- جيرهارد هوب، ما بين الجامعة والشارع، ذكر في موضع آخر ص 40.*

*(255)- وصف حلمي نفسه طيلة حياته بالمسلم: أنا مصري ومسلم. كتب حلمي إلى قنصل القاهرة في هامبورغ مرارًا بعد الحرب، برلين بتاريخ 22 سبتمبر 1962، ما تركه دكتور حلمي، أرشيف عائلة الكيلش.*

*(256)- 110--قارن ملف التعويضات لـ آنا، LABO برلين، ملف رقم 52 472، Bl. C 12.*

(257)- حوار مع كلارا جوتمان غرينسبان في سبتمبر 2016.

(258)- خطاب من سيسيليا رودنيك ومارتين رودنيك إلى آنا جوتمان بتاريخ 23 فبراير 1952، أرشيف عائلة جوتمان.

(259)- خطاب من مارتين رودنيك إلى آنا جوتمان بتاريخ 8 أبريل 1950، أرشيف عائلة جوتمان.

(260)- قارن تسجيلات وزارة الخارجية R 27262، وأيضًا جيرهارد هوب في قوله: "مسلمون تحت الصليب المعقوف". نشأة تاريخ المعهد الإسلامي المركزي في برلين، جمعية مسجلة، الصحيفة الإسلامية 1 / (1994)، ص 16 – 27.

(261)- قارن جيرهارد هوب، القرآن كأمر ملكي خفي. مقتطفات من السياسة الإسلامية الألمانية في الفترة ما بين 1938 و1945، في: هولجر برايسلر وهوبيرت زايفيرت (الناشر)، بحث المعرفة وتاريخ الدين، كتابة ثابتة لكورت رودولف في يوم ميلاده الخامس والستين 65، ماربورغ 1994، ص 435 – 446.

(262)- صدر الدين، المسيحيون واليهود، في الصحيفة الإسلامية، أبريل 1924، ص 41.

(263)- خطاب بتاريخ 21 أبريل 1943، مقتبس من كلاوس ميخائيل مالمان، مارتين كوبيرس، الهلال والصليب المعقوف. الإمبراطورية الثالثة، العرب وفلسطين، دارمشتات 2006، ص 116

(264)- المرجع السابق، ص120.

(265)- المرجع السابق.

(266)- قارن مكاتبة كمال الدين جلال إلى دكتور شميت دومونت، وزارة الدعاية، قسم الشؤون الخارجية بتاريخ 26 فبراير 1944، في تركة أ. دكتورجيرهارد هوب، مركز الشرق الحديث، برلين 013/006.

(267)- مراسلات وزارة الدعاية، وجلال والمكتب الرئيس لأمن المملكة .Bl 54، ما تركه أ. دكتور جيرهارد هوب، مركز الشرق الحديث، برلين 013/006.

(268)- "كالمسلمين" والاقتباسات التالية لـ هتلر: مقتبس من كتاب الذكريات لألبيرت سبير، برلين 1969، ص109-110.

*(269)- مقتبس عن سول فريدلاندر، الإمبراطورية الثالثة واليهود، مجلد 1 و2 في الطبعة الحديثة، ميونخ 2007، ص 118.*

*(270)- إيان كيرشاف، هتلر 1889-1936، ميونخ 1998، في نهاية الفصل السادس.*

*(271)- فيكتور كليمبيرير، مدونة بتاريخ 12 نوفمبر 1944، في: أريد أن أدلي بشهادة لآخر مرة: مذكرات يوميات 1941-1945، أصدرها فالتر نوفوسكي، برلين 1995، ص 610.*

*(272)- قارن ديفيد موتادل، الإسلام وحرب ألمانيا النازية، كامبريدج، ماساتشوستس، لندن 2014، ص 278.*

*(273)- يوفان جول، سدوم برلين، فرانكفورت، 1988، ترجمة النسخة الأصلية، ظهرت في الأصل 1929 في باريس، ص 80.*

*(274)- المرجع السابق، ص 59.*

*(275)- صدر الدين، عقيدة الإسلام، في الصحيفة الإسلامية بتاريخ 1 أبريل 1924، ص 22-24، هنا ص 24.*

*(276)- وثيقة إشهار الإسلام، برلين بتاريخ 10 يونيو 1943، أرشيف ياد فاشيم، M 31/12582.*

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

# *زواج صوري*

*لقد كانت هناك شبكة كاملة من العرب الموثوق بهم تساعد حلمي في حماية آنا. لكنها ظلت تتعجب كثيرًا من مدى اختلاف الشخصيات التي ائتمنها حلمي على سره الخطير، الآن جلال كاتب الدعاية الذي يعمل قريبًا من المفتي العام عالي الصوت المعادي للسامية ويعمل مع جوبلز الذي ينفث الكراهية لصالح النازيين، وبعده عازف جاز يهوى العزف على آلة الكلارينيت ويحب الملابس المصنوعة من قماش الكريب!*

*كان الليل قد أظلم عندما تقابلا في شقة حلمي لإتمام هذا "الزفاف الأبيض"، آنا والعازف حمَّاد. كان ذلك في يوم 16 يونيو 1943 بعد أسبوعٍ واحد من دخول آنا الإسلام، وقد اختار حلمي ذلك اليوم لإتمام الزواج الصوري كما يُطلق عليه في مصر (277)، أي الزواج على الورق فقط، وكانت تلك هي الخطوة الثانية في خطة حلمي من أجل إيجاد مخرج رسمي لآنا من برلين: أولًا الدخول في الإسلام، والآن ثانيًا الزواج من رجلٍ مُسلم، وبذلك تُصبح شخصية نادية الخيالية أمرًا واقعيًّا بالتدريج. فُتح باب الشقة قليلًا لينير الممر خارج الشقة، ودخل عادل عزيز حلمي حمَّاد البالغ من العمر 36 عامًا، أي أصغر من حلمي بخمسة أعوام.*

*عندما يحكي عن مساء يوم جمعة عادي في العام الثالث من الحرب، فسيذكر مثلًا أنه كان رفقة صديقين من فيينا: السيد بارت والسيدة ميلا، وسيذكر أن ثلاثتهم دخلوا حانة أوهو الكائنة في شارع لوتر في وقتٍ ما بعد العاشرة مساءً، "جلسنا معًا إلى منضدة واحتسينا 6 زجاجات من النبيذ" (278). كان على ما يبدو لا يزال يعرف كيف يعيش جيدًا كما لاحظت آنا، إذ أخذ يحكي غاضًّا طرفه كيف استمرت خمور مامبي ونبيذ الموم في التدفق بشكل لا ينضب على عاصمة هتلر. "لقد بُعثت سدوم وعمورة في برلين من جديد" (279)، هكذا سخر أحد الزوار الأجانب ذات مرة. تعرف حلمي على حمَّاد عازف الجاز عام 1939 في سجن البوليس السري وصارا أصدقاء.*

*ثم خرج من الظلمة شاهدان إلى نور الشقة مما أربك آنا شيئًا ما، ونظرت إلى حلمي، هل كان فعلًا من الضروري إشراك كل هؤلاء الأصدقاء العرب في الخطة السرية؟*

*فأجابها حلمي أنه من دون الشاهدين لن يكون زواجًا شرعيًّا صحيحًا ولن تكون هناك حاجة لمجرد المحاولة في إنجاح هذه الخطة الجديدة.*

*كان أحد هذين الشاهدين محمد سليمان الصفر، وهو صديق لحلمي من برلين، وكان الآخر هو رياض أحمد محمد، ذلك المصري الذي أُزيح من منصبه السياسي خلال حبسه في سجن البوليس السري عام 1939 بواسطة القومي العربي كمال الدين جلال. أي عدو البريطانيين وصديق البريطانيين معًا! كان غريبًا أن يوافق الاثنان على حماية فتاة يهودية معًا رغم اختلافهما، بل رغم عداوتهما في باقي الاتجاهات. وبينما كان حلمي في الماضي يوهم النازيين أنه شديد الولاء للنازية، أخذ يصنع سرًّا شبكة تتسع أكثر وأكثر.*

*هذه الفكرة كانت تراود حلمي منذ وقتٍ طويل، تحديدًا منذ شهر نوفمبر من عام 1942 (280)، حينها طلب من آنا أن تستوثق من القنصلية الرومانية إن كانوا يُمانعون إن هي فقدت جواز سفرها الروماني وحصلت على آخر مصري عن طريق الزواج بمصري. وأعطت الإجابة الرسمية حلمي بعض الأمل: "نفيدكم يا سيدة بوروس أنه إذا وافق الجانب المصري على الزواج وتم الزواج هنا وفقًا للقوانين، فإنكِ سوف تحصلين حسب ما نعلم على الجنسية المصرية" (281). وقد بذل حلمي بعض المحاولات للحصول على جواز سفر مصري لآنا يمكنها من مغادرة البلاد إلى مصر ومنها إلى فلسطين، فقد حاول مثلًا أن يتبناها (282)، ولكن طلبه قُوبل بالرفض، ووجد "عقبات لا يُمكن التغلب عليها" (283) في وجه جميع محاولات إخراج آنا من البلاد، كما ذكر حلمي لاحقًا، وربما سمع بقصة ريزا فورتسمان عندما تأزمت الأمور بشدة (284).*

*تلك الفتاة اليهودية من فيينا ظهرت عام 1938 في برلين، وكان عمرها حينئذٍ 17 عامًا، أي تمامًا في عمر آنا، وكانت ريزا قد تعرفت في أحد مراقص فيينا على طالب مصري وسيم يدرس الكيمياء ويُسمي نفسه هاري، وكان اسمه الحقيقي حسين، فجاءا معًا إلى برلين للحصول على الاعتراف بزواجهما، كانت رحلة خوف وأمل، قدما الأوراق للقنصلية المصرية ثم جلسا ينتظران موافقة الدبلوماسيين، ونجح الأمر في حالة ريزا وحصلت بزواجها من هاري على الجنسية المصرية، وبذلك لم تتمكن من المغادرة إلى لندن وحسب، بل تبعتها كل عائلتها إلى هناك.*

*جلس حلمي على الأرض في شقته، سيقوم بدور المأذون من أجل آنا ودور وليها، بينما ستصمت هي خلال مراسم العقد، وجلس الشاهدان أيضًا.*

*وكتب حلمي على ورقة: "زواج شرعي". كان يجب أن يكون الزواج شرعيًّا، وإلا لن ينجح الأمر، فهكذا فقط يُمكن لآنا تجنب السجل المدني الذي سينكشف فيه أمرها على أي حال، وبدا أن تحول آنا إلى الإسلام قبل أيامٍ قليلة كان شرطًا أوليًّا لهذه المراسم: حدث ديني يتم إخبار السلطات به لاحقًا*

*آملين ألا يُكثروا من الأسئلة. رُبما سمع حلمي عن شبكات الزواج الصوري التي كانت تمتد حتى مصر، وكان المشفى اليهودي في الإسكندرية قد أصبح مركزًا لمثل تلك الزيجات، فقد كانت هناك مُمرضة داهية تُدعى تيا فولف من دمينة إيسين تُقدم الرشاوى لموظفي شرطة الميناء المصريين في شكل عمليات ختان مجانية لأبنائهم، وبذلك كسبت ود شرطة الموانئ وجعلتها تحضر إليها لاجئي القوارب اليهود بدلًا من اعتقالهم، ثم وجدت الممرضة بعض المصريين المُستعدين للزواج الصوري، فكانوا يحصلون على 50 جنيهًا مصريًّا عند الزواج ومثلها عند الطلاق.*

*ونجحت هذه الخدعة وأنقذت حياة الكثيرين، وقد تمكنت إحدى اليهوديات اللاتي حصلن على الجنسية بهذه الطريقة "من دعوة والديها إلى زيارة مصر" (285)، كما كتبت الممرضة لاحقًا في مذكراتها، "فجاءا إلى أرض النيل الخالد ونجيا من المحرقة". وكان حلمي ورفاقه يسعون إلى ترتيب شيء مماثل لآنا.*

*وضع حلمي القلم فوق الورقة وكتب بلغة عربية مُتكلفة بعض الشيء: "في مساء الأربعاء الموافق 16 يونيو 1943 تزوج السيد عبد العزيز حلمي حمَّاد البالغ من العمر 36 عامًا والمولود في فاقوس بمحافظة الشرقية بتاريخ 6 مايو 1906 والمقيم حاليًا في برلين في 23 شارع يوهان جورج من الآنسة نادية بوروس المسلمة من مواليد 22 نوفمبر 1925 في آراد في دولة رومانيا وهي رومانية الجنسية وتسكن في مدينة برلين في العنوان 77 شارع نويه فريدريش" (286).*

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

*لم يكن العريس عازفًا لموسيقى الجاز وحسب، بل مناهض شجاع للنازية مُنذ سنوات، فكان حلمي فعلًا مُحقًّا في أن يثق فيه في مثل هذا الموضوع الشائك، فقد كان حمَّاد أحد المدافعين عن التعايش الإسلامي اليهودي في العشرينيات ضد النازيين. كان حمَّاد المدير المسؤول لحانة كارلتون الكائنة في شارع جانبي متفرع من شارع كورفورستندام يُسمى شارع رانكه. وعلى مساحة تمتد لنحو 5000 متر مربع تزاحم ما يزيد على عشر حانات: حانة الملكة وروكسي وأوهو وكاكادو وروزيتا وباتريا (287)، ويتوسط هذه الحانات مطعم الشرق في العنوان 20/21 شارع أولاند (288).*

*كان حراس في زي رسمي يُبعدون الجميع من هناك إلا الزائرين أنيقي الثياب ذوي المظهر الراقي، وبذلك يُبعدون أيضًا جواسيس غرفة الموسيقى الألمانية البغيضين الذين دائمًا ما يرتدون ثيابًا رثة. وعندما ينجحون رغم ذلك في الدخول بحثًا عن موسيقيين يهود أو من يعزفون موسيقى الجاز اليهودية أو الزنجية من تأليف إيرفينج برلين أو جورج جيرشوين، كان يتم تنبيه*

*الموسيقيين على المسرح مُسبقًا باستخدام جرس سري ليُظهروا أسماء أغانٍ مُزيفة على النوتة الموسيقية مثل "الفهد الأسود" بدلًا من "تايجر راج"، وكانوا بذلك يخدعون رجال الرقابة النازيين (289).*

*كان عريس آنا حتى قبل سنوات من دخوله سجن البوليس السري مع حلمي عام 1939 يهرّب الموسيقيين اليهود هنا وهناك، فاستطاع مثلًا أن ينقل عازف الكمان اليهودي باول فاينابل (290) الذي فقد رخصته نهاية الثلاثينيات بضغط من غرفة الموسيقى الألمانية، استطاع أن ينقله مع فرقته من حانة الشربيني إلى حانة سيرو، وعندما لفتوا أنظار رجال غرفة الموسيقى أعادوا تعيينه ثانية بكل هدوء في حانة الشربيني. (291)*

*كانت حانة سيرو مجاورة تمامًا لحانة كارلتون التي يعمل فيها حمَّاد والتي كان يديرها أيضًا مصري آخر هو أحمد مصطفى الذي جاء إلى برلين نهاية العشرينيات ونجح بداية الأمر كراقص منوعات ثم جعل الجماهير تصطف مساءً لمشاهدة فنانين من أمثال عازف بيانو الجاز فريتس شولتس رايشل الشهير باسم أوتو الغريب الذي كان يضع دبابيس مكتب في لباد مطارق البيانو ليحصل بذلك على نغمة بيانو الحانة المميزة نهاية القرن الماضي.*

*بين الحوائط ذات اللون الطيني الفاتح عُلقت أشياء وصور مُبهرجة من كليوباترا إلى الملك فاروق، "وعند الصعود لبضع درجات نصل إلى القاعة الفضية حيث نشعر بالحياة الراقية الأنيقة تنساب أمامنا" (292) كما قال أحد الزائرين مُتعجبًا. وكانت حانة الشربيني وحدها هي الأكثر أناقة، وكان يديرها مصري آخر هو مصطفى الشربيني (293) الوسيم المتأنق عازف طبول الجاز الذي تزوج من ابنة زوجة كونت ما، وكانوا جميعًا من أعضاء شبكة حمَّاد.*

*حدد المأذون دكتور حلمي مهرًا رمزيًّا للعروس مقداره 100 مارك، ثم تناول القلم بيده ثانيةً وأنهى النص بهذه الكلمات: "هذا الزواج صحيح على كتاب الله وسنة رسوله". (294)*

*ثم طلب من الحاضرين التوقيع، وأمسكت آنا بالقلم ووقعت الورقة باسمها الإسلامي؛ نادية.*

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

*(277)- قارن إيرينا ميسينجر، زواج الحماية والزواج الصوري في بلد المنفى مصر، في مارجيت فرانتز/ هايمو هالبرينر/ غابريلا أنديرل (الناشر)، الذهاب للشرق، الذهاب للجنوب، المنفى النمساوي في آسيا وإفريقيا، غراتس 2013، ص 165-182، هنا ص 167.*

*(278)- ملف تحقيقات النيابة العامة 1941، أرشيف ولاية برلين A Rep. 358– 02، رقم 154335. هناك أيضًا بيانات تاريخ الميلاد والسيرة الذاتية والدخل.*

*(279)- قارن جول، سدوم برلين، ذكر في موضع آخر ص 74.*

*(280)- قارن خطاب القنصلية الرومانية العامة إلى آنا، برلين، 4 نوفمبر 1942، أرشيف ياد فاشيم، م 31/12582: "في خطاب سيادتكم الذي ورد بتاريخ الرابع من الشهر الجاري أخبرتكم القنصلية العامة أنه لن يتم الاحتجاج ضدكم، إذا تزوجت من شخص مصري الجنسية".*

*(281)- خطاب المفوضية السويسرية إلى عبد العزيز حلمي حماد، برلين بتاريخ 28 يونيو 1943، أرشيف ياد فاشيم، م 31/12582.*

*(282)- قارن تقرير لـ جولي فير بتاريخ 26 سبتمبر 1945، أرشيف ياد فاشيم، م 31/12582.*

*(283)- السيرة الذاتية لحلمي كتبها بنفسه، أرشيف ولاية برلين B Rep. 078، رقم 0561، مخزن الملفات "أبطال لم تتم الإشادة بهم"، (طلب محمد حلمي) Bl. 17.*

*(284)- قارن روبيرت ساتلوف، بين الصالحين، قصص ضائعة لوصل محرقة اليهود إلى بلاد العرب، نيويورك 2006، ص 171.*

*(285)- تيا ابن ليفين فولف، محطات في حياة ممرضة يهودية - ألمانيا، مصر، إسرائيل وفرانكفورت 1996، ص48 وأيضًا مراجع من قبل إيرينا ميسينجر، الحماية والزواج الصوري في بلد المنفى في مصر، في مارجيت فرانتز/ هايمو هالبرينر/ غابريلا أنديرل، مأخوذ من الذهاب شرقًا، الذهاب جنوبًا، المنفى النمساوي في آسيا وإفريقيا، غراتس 2013، ص 165-182، هنا ص 171 -177.*

*(286)- وثيقة الزواج العربية المكتوبة بخط اليد، أرشيف ياد فاشيم، م 31/12582.*

*(287)- قارن ميخائيل كاتر، لعبة جريئة، موسيقى الجاز أثناء الحقبة النازية، كولن 1995، ص 130.*

*(288)- قارن جيرهارد هوب، الأمر ذو أهمية عظمى.. الطلاب العرب في برلين، كتابات قام بمراجعتها دكتور جيرهارد هوب، مركز الشرق الحديث، برلين، 07.08.005، ص 20.*

*(289)- كاتر، لعبة جريئة، ص 130.*

*(290)- قارن المرجع السابق، ص 86.*

*(291)- قارن كنود فولفرام، ألواح الرقص وقصور الترفيه. الحياة الليلية لبرلين في الثلاثينيات والأربعينيات. من شارع فريدريش حتى برلين، من موكا إيفتي حتى ديلفي، برلين 1992.*

*(292)- جريدة برلينر هيرولد، رقم 4 بتاريخ 24 يناير 1932، مقتبس من المرجع نفسه، ص 189.*

*(293)- قارن كاتر، اللعبة الجريئة، ص 78 و131.*

*(294)- وثيقة زواج مكتوبة بخط اليد، أرشيف ياد فاشيم، م 31/12582.*

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

# البوليس السري يقترب

في الصباح الباكر عندما ينفث نهر شبريه أنفاسه الليلية الباردة العطنة، كانت آنا تنزل أحيانًا مع إيمي ناحية المياه، لقد كانت الشابتان تروقان لبعضهما، كانتا تصطحبان الكلب في جولة على مهلهما كأي قريبتين أو صديقتين قبل أن يحين موعد عملهما في العيادة، وعندما يخاطبهما أحد تتولى الرد إيمي أكبرهما سنًّا وتقول إن الفتاة الأخرى هي قريبة خطيبها العربي، وهي طفلة مُطيعة، وتومئ آنا برأسها دون أن تقول شيئًا. (295)

عندما جاء خطاب السجل المدني في منطقة شارلوتينبورج بعد أسبوع من إتمام الزواج الشرعي بين آنا وعازف الجاز حمَّاد، فتحت آنا الخطاب بحذر كما لو كان شيئًا ثمينًا، وقرأت: لقد فحصنا حالتكما، ولكن هذا الزواج لا يُمكن أن يتم. وتذكرت آنا هذه اللحظات قائلةً: "خطة حصولي على جواز سفر مصري عن طريق الزواج، ودخولي بهذا الزواج إلى عالم برلين الإسلامي الصغير والحصول بذلك على تذكرة مرور إلى الحرية، هذه الخطة فشلت لمعارضة السلطات الألمانية" (296). وإذا لم تكن حتى تلك اللحظة قد فقدت الأمل فقد كانت وكأن الأرض قد ضاعت من تحت قدميها، ثم قضت الجملة الأخيرة في الخطاب الرسمي القصير على ما تبقى منها: "نرجو القدوم سريعًا لاستلام الوثائق المُقدمة" (297).

كانت تلك مصيدة، لم يكن ثمة مخرج، وكان أكثر ما أقلق آنا التعليل الذي ساقه السجل المدني لقراره هذا. كانت السياسة العرقية للنازيين تشترط فحصًا عرقيًّا قبل زواج أحد أتباع العرق "الحامي" من ألمانية (298)، وقد جرب حلمي وإيمي هذا الأمر بنفسيهما عندما أعلنا خطبتهما قبل عيد الميلاد بقليل عام 1939 وحاولا الزواج، ولكنهما مُنعا من ذلك بسبب "الانتماء العرقي" كما حكى حلمي لاحقًا (299)، ولكن ذلك لم يُذكر قط في الإيضاحات الرسمية للسلطات، بل كانت كلمة "الأهلية للزواج" هي الغطاء البيروقراطي المعهود.

والآن يُعلن السجل المدني في شارلوتينبورج مُجددًا للزوجين آنا وحمَّاد: "رأى السيد وزير العدل أنه ليس بوسعه منحكما الاستثناء المطلوب من تقديم شهادة الأهلية للزواج" (300). كان هذا خبرًا مُقلقًا، لأنهم لم يُفشيا سر آنا في أيٍّ من أوراق الزواج التي قدماها، ولم يذكرا أبدًا أنها يهودية، بل ذكرا فقط اسم الآنسة نادية وأكدا أنها مُسلمة، وبذلك يُفترض أن الأمر برمته زواج إسلامي محض بين مُسلمين، وحتى حماة القوانين العرقية النازية كان يُفترض بهم قبوله، ورغم ذلك يبدو أن السطات تعاملت مع هذا الزواج

*الشرعي بوصفه زواجًا مُختلطَا، أي ليس إسلاميًّا صرفًا، أي إنهم ربما شعروا بشيءٍ ما.*

*بعد وقتٍ قصير من وصول رفض السجل المدني نهاية يونيو 1943 وصلت رسالة شائكة أخرى يطالبون فيها آنا بالحضور في أسرع وقتٍ ممكن إلى القنصلية الرومانية "لمغادرة البلاد". (301)*

*كانت المطالبة الأخيرة من هذا النوع قبل عامٍ، واعتقدت آنا أنها تجاوزت هذا الأمر، إذ أمكن حينذاك التخلص من البوليس السري بأن زعم والدا آنا أنها سافرت بنفسها إلى رومانيا. وقد وصل الخطاب الأخير إلى عنوان آنا القديم في شارع نويه فريدريش، إلى الشقة أعلى متجر الفاكهة والتي صودرت لصالح "الآريين" مُنذ زمن، ولم يعد أحد يذهب إليها إلا مُدير أعمال جدتها أوتو بويا بين الحين والآخر لتفقد البريد. لقد استنتجت السلطات الأمر بشكل صحيح. لقد حدث خطأٌ ما: كتب حلمي على عقد الزواج الشرعي عنوان آنا القديم. كان ذلك استهتارًا كبيرًا.*

*وبذلك توصل البوليس السري لآنا عن طريق طلب الزواج الذي قُدم للسجل المدني، وربما أدرك حلمي وآنا هذا الأمر، كما أن حلمي قد كشف نفسه أمام السلطات من خلال توقيعه على وثائق الزواج الشرعي، فقد كان المأذون الضامن لنادية. فأين سيبحث مُخبرو البوليس السري عن آنا إن لم يكن لديه؟ وكيف سيتعاملون معه بعد أن جعل منهم أضحوكة؟*

*عندما تلقت آنا هذا الخطاب المُقلق، كانت شاحنات النقل التي تحمل أناسًا مذعورين تجوب منطقة موابيت في طريقها إلى محطة قطارات البضائع القريبة، وفي 28 يونيو 1943 غادر قطار يقل 314 شخصًا من موابيت إلى أوشفيتس.*

*عندما كان حلمي بعد الحرب يتذكر هذه الأوقات من صيف عام 1943، كان يصف شعور الضيق المتزايد الذي انتابهما ويقول: "سأل البوليس السري مُجددًا حارس العقار رقم 7 في شارع كريفيلدر عني وعن اليهودية المُختبئة، وفتشوا شقتي مرتين وطرحوا عليّ الأسئلة" (302). وتتذكر آنا هذه الأوقات قائلة: "اُضطر السيد الطبيب إلى نقلي إلى مكانٍ آخر وتزويدي بما أحتاج إليه من مواد غذائية". (303)*

*كانت هدفًا سهلًا في شقة حلمي، فتسعة من سكان العقار رقم 7 في شارع كريفيلدر نزلوا سلالم العقار –البعض على قدميه والبعض الآخر سحبهم البوليس السري سحبًا- في الأعوام 1941 و1942 و1943 ولم يعودوا إليه بعدها أبدًا. كانت ابنتا عائلة كونيتسر بالكاد أكبر سنًّا من آنا، تزوجت الكُبرى*

*منهما وهي أورزولا وهربت مع زوجها عام 1938 إلى فلسطين، بينما لم تصل الصُغرى روت أبعد من مزرعة فينكل بالقرب من فورستين فالده في مدرسة زراعية للإعداد المهني، ولم تتمكن من الهرب من هناك في الوقت المناسب وقُتلت في مُعسكر أوشفيتز يوم 1 مارس 1943، كما قُتل والداها جارا حلمي يوم 12 يناير 1943. لم ينج من معسكر الاعتقال في مدينة تريزينشتات إلا الزوجان ليسر اللذان كان يقيمان في الطابق الأرضي. (304(*

*لم يحم آنا من جيرانها المتشككين ومن البوليس السري سوى تخفيها كمسلمة، وزاد من خطورة الوضع خلال اختبائها زيارة أمها لها وهي تضع نجمة اليهود على معطفها.*

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

*(295)- جولات التنزة التي قامت بها آنا وإيمي معًا: حوار مع كارلا جوتمان غرينسبان وتشارلز جوتمات في سبتمبر 2016.*

*(296)- قارن خطاب آنا بتاريخ 10 يوليو 1945، أرشيف ياد فاشيم، م 31/12582.*

*(297)- مكاتبة مصلحة الأحوال المدنية بشارلوتنبورغ في برلين إلى عبد العزيز حلمي حماد بتاريخ 21 يونيو 1943، أرشيف عائلة جوتمان.*

*(298)- قارن ديفيد موتادل، الإسلام وحرب ألمانيا النازية، كامبريدج، ماساتشوستس، لندن 2014، ص 57.*

*(299)- مأخوذ من إقرار مشفوع بيمين للدكتور حلمي لتسليمه إلى مكتب التعويضات بتاريخ 9 فبراير 1953، نسخة موثقة في المكتب الحكومي لأمور المواطنين والنظام العام في برلين، هيئة التعويضات (معمل برلين)، رقم 14500، ص 10 - 16.*

*(300)- مكاتبة مصلحة الأحوال المدنية بشارلوتينبورغ في برلين إلى حماد بتاريخ 21 يونيو 1943، أرشيف عائلة جوتمان.*

*(301)- مكاتبة القنصل الروماني إلى آنا بتاريخ 5 يوليو 1943، أرشيف عائلة جوتمان.*

*(302)- مأخوذ من إقرار مشفوع بيمين للدكتور حلمي لتسليمه إلى هيئة التعويضات بتاريخ 9 فبراير 1953، نسخة موثقة في معمل برلين، رقم 14500، ص 10 - 16.*

*(303)- خطاب إلى آنا بتاريخ 10 يوليو 1945، أرشيف ياد فاشيم، م 31/12582.*

*(304)- "مصير سكان المنزل": أبحاث غير منشورة لـ"سابينه مولدر" و"دكتوركارستين مولدر".*

ꝏ ꝏ ꝏ ꝏ ꝏ

# الكذبة الأخيرة

*كان على آنا أن تتدبر أمورها في الخفاء دون بطاقات التموين الصفراء والخضراء والزرقاء والحمراء والوردية، فكانت والدتها وزوج والدتها يحضران لها بعض المواد الغذائية متى استطاعا إلى ذلك سبيلًا (305). لم تستطع أسرة آنا الحقيقية الاجتماع معًا خلال عام 1943 إلا عصر يوم الأحد من كل أسبوع في شقة حلمي وراء الستائر المغلقة، وكان هذا هو المكان الوحيد الذي تستطيع الأسرة فيه الحصول على بعض المعلومات عن جدة آنا التي تتواصل معهم فقط عن طريق مدير مكتبها السابق أوتو بويا، (306) وهكذا تجمعت كل الخيوط عند حلمي.*

*ألن تكون المخاطرة أقل إذا استقبل هؤلاء الضيوف الحساسين ليلًا؟ لكن حلمي فضل مجيئهم نهارًا كي لا يثير شكوك الجيران. طبيب يستقبل مرضاه السابقين، ماذا في ذلك؟ هكذا كان تفكير حلمي. لكن آنا كانت مستاءة جدًّا، فدائمًا عندما كانت تأتي أمها و"البدين" زوج أمها للغداء يوم الأحد "لم يكونا يتحدثان إلا عن اليهود والمُرحلين" (307)، كما ذكرت آنا لاحقًا، لكنهما لم يتحدثا أبدًا عن الخطر الذي يُحدق بمضيفيهما الثلاثة حلمي وإيمي و"نادية" وأسرتها الصغيرة الألمانية المسلمة كما يُفترض. كان الخطر على والدة آنا وزوج والدتها أقل بكثير، فهذا الأخير ليس يهوديًّا، وكانت أمها في مأمن من الترحيل بفضل زواجها منه، كانت تعيش بشكل علني وقانوني، فتصرفاتهما غير المسؤولة كانت لا تُشكل خطرًا عليهما بقدر التهديد الذي تشكله على حلمي وآنا.*

*كانت والدة آنا في البداية تعمل بالسخرة لدى شركة Rose & CO لتجارة المنتجات الخام الكائنة في العنوان 15 شارع مونومينتين في منطقة شونيبيرج، والآن تعمل في شركة هيرمان في 9 شارع آليزوندر في برينتسلاور بيرج ككاتبة في ورشة، (308) وأيضًا زوج والدة آنا جورج فير كان لا يزال حرًّا طليقًا، فكان من حظه رغم أنه يصاهر اليهود أن مصنع النقانق الذي يعمل فيه كان يورد منتجاته للجيش واعتُبر لذلك ضروريًّا للحرب. (309)*

*عندما طرق شخصٌ ما الباب على غير انتظار، كانت الأسرة مُجتمعة عند حلمي عصر يوم الأحد، كان وجه الشاب مُخضبًا بالدماء أزرق اللون متورمًا، إنه خال آنا غير الشقيق مارتين رودنيك، عذبه البوليس السري بضراوة حتى إنه سيظل للأبد لا يسمع جيدًا بأذنه اليسرى، (310) كان لا يزال يعيش عند هيلدجارد أولبريش في فيلمرسدورف ويكسب قوته بالتهريب في السوق السوداء، لذلك كان ولا بدّ أن يراه بعض الجيران بين الحين والآخر، وخاصةً*

*عند إنذار الغارات الجوية، ولم تكن تلك المرة الأولى التي يُبلغ فيها أحدهم الشرطة عنه، لكن لم تجر الأمور معه أبدًا بهذا السوء من قبل. ففي المرة الأولى حالفه الحظ: فحينها سلمه مركز الشرطة إلى نقطة البوليس السري في شارع بورج، نقطة أمن الدولة، وخلال نقلهم من هناك إلى نقطة التجميع في شارع ليفيتسوف كان يُشرف على عملية النقل مُشرفون يهود، وتعرف مارتين على أحدهم، وكان الظلام قد خيم عليهم فقفز من شاحنة النقل عند عمود النصر (311) وعاد مُسرعًا إلى فيلمرسدورف. (312)*

*هذه المرة اختلف الأمر، فقد تعرف أحد موظفي شركة هيربوفسكي السابقين -التي كان لها فرع في منزل الأسرة حيث متجر الفاكهة قديمًا- على مارتين في طريقٍ عامٍ وأبلغ عنه، فقُبض عليه وأُحضر مُجددًا إلى شارع بورج، وكان التعذيب هذه المرة بشعًا، حيث حاول رجال البوليس السري معرفة اسم من يتستر عليه، ولكن مارتين صمد ولم يذكر اسم هيلدجارد أولبريش، وتمكن فيما يُشبه المُعجزة من الهرب من نقطة التجمع في ليفيتسوف شتراسه، وبعدها أدرك أنه لا يمكنه العودة مباشرةً إلى من تتستر عليه، وإلا فإنه ربما سيلقي بها إلى التهلكة. ولذلك توجه مارتين إلى حلمي بدلًا من هيلدجارد، فقد فضل أن يُلقي بالمخاطرة على حلمي. وقف على الباب يتنفس بصعوبة قبل أن يسحبه حلمي سريعًا إلى الشقة، كادت آنا أن تفقد صوابها: "يمكن للجميع أن يتخيل مدى ما يمثله ذلك من خطر على السيد الطبيب". (313) غير أن حلمي لم يغضب ولم يثُر، بل أقرض مارتين بعض المال وتركه يأكل ويشرب قبل أن ينصرف متوجهًا إلى معارف آخرين. (314)*

*لاحظت آنا كيف أن عائلتها أصبحت مع الوقت مصدر خطر على حلمي. وقد حاول هو اتخاذ إجراءات احترازية جديدة، فبحث سريعًا عن مخبأ جديد لآنا يُمكنها اللجوء إليه في حالة الضرورة القصوى، كان يمكنها حتى ولو لوقتٍ قصير الاختباء عند مريضته فريدا شتورمان في منطقة شتاكين، (315) والتي كانت مشغولة أيضًا بجدة آنا "سيسيليا"، ثم عند عائلة أختها في منطقة ليشترفيلده، ثم لدى مُمرضة تُدعى شميت في منطقة نويكولن. وتتذكر آنا تلك الأيام فتعلق قائلة: "بعد ثلاثة أسابيع تجرأ السيد الطبيب وأخذني عنده مرة أخرى". (316)*

*ولكن الأهم أن دكتور حلمي أخذ ينسج خيوط كذبة جديدة أكبر يغطي بها على كل الأكاذيب التي قصّها على البوليس السري حتى ذلك الوقت لإنقاذ آنا، فلحالات الطوارئ، أملى على آنا خطابًا موجهًا له هو نفسه، ثم طواه ووضعه في جيبه.*

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

*كانت رئة آنا تصدر صوت خشخشة، وكانت تعاني من آثار الصقيع على كلتا قدميها، (317) لقد كانت البرودة قارسة بين أشجار التامول في منطقة برلين بوخ على أطراف حي بانكوف. الأكواخ الصغيرة محاطة بالكرتون المقوى فحسب، ومن بين الشقوق تتسرب الطحالب. منذ بدأت الإنذارات تدوي ليلًا وتضيء القنابل سماء المدينة، بدأ الكثير من الناس يخرجون إلى تلك الأكواخ، وكلما طالت مدة الحرب وعادت آثارها لتضرب بضراوة منشأها الأول تزايد هذا التدفق، وحتى بعض اليهود وجدوا مخبأ لهم في حصص الحدائق هذه. كان مُقدم برامج المسابقات هانس روزينتال مُراهقًا في عمر آنا عندما اختبأ في حصص الحدائق المعروفة بالثالوث في منطقة ليشتينبيرج، وكان والد الممثلة إنجي مايسل في الخمسين من عمره عندما اختفى في صومعة في حصة حديقة تملكها سكرتيرته في حي كوبنيكر فيردر. (318)*

*نعم لقد هدد النظام مرارًا وتكرارًا بإرسال شرطة المباني للتأكد من أن أحدًا لا يقيم بشكل غير قانوني في حصص الحدائق هذه، حيث أعلنت جريدة الحزب النازي "Völkischer Beobachter" بحدة "التحذير الشديد من ذلك"، ولكن التفتيش الأخير من الآن -أي نهاية عام 1943- يرجع تاريخه إلى ثلاث سنوات مضت، كما أن الأرقام التي توصلت إليها الحكومة وقتها كانت متباينة بشكل غريب مما أظهر مدى فقدان الرؤية الشاملة حول هذا الأمر برمته، فهل كان هناك 120000 مقيم دائم في صوامع حصص الحدائق في برلين، أم كانوا 2500 أم 49000؟ هذه الفوضى تمنح بعض الشعور بالأمن كما أدرك حلمي.*

*أيضًا فإن حلمي وخطيبته إيمي خرجا إلى الصومعة التي أسكنا فيها آنا في منطقة برلين بوخ بعد أن دُمر منزلهما في حي موابيت جزئيًّا على إثر غارة جوية يوم 27 نوفمبر 1943، (319) وكان حلمي قد تمكن من إخفاء وجود تلك الصومعة في حصص الحدائق عن البوليس السري (320)، "فقد تهرّب ببراعة من جميع أسئلة البوليس السري وبحثها" (321) كما تذكر آنا. ربما استأجر هذه الحصة في الحديقة في العنوان 70 هورستين فيج باسم مُزور، وربما ليست ملكه هو، بل ملك أسرة إيمي. كانت النظرات المتشككة تلاحقهما في تلك الصومعة أيضًا، فربما شعر البعض بشيءٍ ما، ولم تتوقع آنا أنها بمأمن من افتضاح أمرها، وكان عليها مواصلة لعب دورها الذي بدأته، فكما ذكرت والدة آنا: "لم تستطع ابنتي البقاء مكتوفة اليدين، وإلا لانكشف الأمر، لقد كانت لا تزال صغيرةً جدًّا، وكان السيد الطبيب يصحبها يوميًّا إلى العيادة في برلين، رغم المخاطر المترتبة على ذلك" (322).*

*ظلت آنا تضع حجابها يوميًّا ويصحبها حلمي كل صباحٍ إلى حي شارلوتينبورج، لقد وازنا الأمور جيدًا ووصلا إلى نتيجة مفادها أن قطع هذا الروتين المُعتاد*

الآن فجأةً يُمثل مُخاطرة أكبر، لأن ذلك سيلفت الانتباه ويُثير التساؤلات، ولذا قررا مواصلة التمثيلية.

ورغم الحرص الشديد فإن الخطر الأكبر كان قريبًا جدًّا منهما، لم يكن جارًا فضوليًّا ولا حارس عقار ذكيًّا. كانت والدة آنا لا تزال تعيش بشكل قانوني في العلن ولا تخشى الترحيل، لكن كان عليها التوجه يوميًّا للعمل في السخرة، وذعرت آنا عندما علمت أن عاملات السخرة الأخريات في الشركة قد "علمن تدريجيًّا قصتي بالكامل ومكان اختبائي" (323). ربما كانت قصة الفتاة اليهودية التي تتنكر كفتاة مسلمة مثيرة جدًّا لدرجة ألا تستطيع الاحتفاظ بها لنفسها. لقد كانت آنا تخشى وقوع ذلك بالفعل، لأن والدتها الباحثة دومًا عن التقدير لا يُمكنها إطباق فمها، فهي "لم تعتبر أبدًا، رغم أننا كنا نؤكد عليها يوميًّا ألا تحكي شيئًا" (324)، كما شكت آنا التي صُعقت من تهور أمها "وشخصيتها المنفلتة"، كما حكمت عليها في ذهول في ذكرياتها بعد الحرب.

وهكذا علم البوليس السري بأمر مسرحية التخفي هذه، وهكذا تدخل؛ أُلقي القبض على والدة آنا يوم 10 يناير 1945 وأحضروها إلى مُعسكر التجميع في العنوان 78 شارع شول لاستجوابها ومعرفة المزيد منها، (325) في مبنى قسم الباثولوجي سابقًا في المشفى اليهودي، والذي حل محل مُعسكر التجميع في شارع جروسه هامبورجر. أراد البوليس السري معرفة مكان الابنة التي تتخفى كمسلمة.

سمع الجميع عن التعذيب، لكن لا أحد يعلم إن كان سيصمد أمامه أم لا. وقد اعترفت والدة آنا لاحقًا أنها "أخطأت بأن أفصحت عن مكان اختباء ابنتها" (326). وقالت آنا لاحقًا: "كانت أيامًا وليالي عصيبة" (327). وهكذا بدأ حلمي تنفيذ خطته التي أعدها للطوارئ، فذهب إلى مكتب أمن الدولة في شارع بورج. لا شيء يفضح المرء أكثر من تأنيب الضمير، ولكن ربما يؤثر فيهم ظهوره صلبًا متماسكًا وواثقًا، لقد تمرن حلمي كثيرًا من أجل هذه اللحظة وأصبح مُتقنًا لهذا الدور، فتوجه مباشرة إلى رجال البوليس السري الذين يبحثون عن آنا وقال لهم مُبديًا ملامح البراءة التي تمرن عليها: "أنا ضحية عملية خداع". بل وأكثر من ذلك؛ رفع صوته مُدعيًا باستياء: "فتاة يهودية تسللت عندي اسمها آنا."

قدم حلمي أمام رجال البوليس السري عرضه الأخير ومغامرته الجريئة، أخرج من جيبه خطاب آنا الذي حضّره وأملاه عليها سابقًا، الخدعة الأخيرة التي ستغطي على جميع ما سبقها، أو هكذا تخيل هو الأمر.

لقد "خدعته بشأن أصولي" (328)، هذا ما كتبته آنا في الخطاب يملأها الندم وتابعت أنها في الحقيقة يهودية وأنها تريد أن تخبر السيد الطبيب أنها قررت

*تركه والذهاب إلى خالتها في ديساو.*

*وقال حلمي إنه وجد هذا الخطاب وأن الفتاة اختفت ولم تترك أثرًا، وبذلك فإنه ليس متآمرًا مع هذه اليهودية الهاربة، بل على العكس من ذلك فقد استغفلته وضحكت عليه.*

*ولكن كيف توقع حلمي أن يصدق رجال البوليس السري كذبة مكشوفة كهذه؟ أن يصدقوا أنه استقبل في بيته فتاةً غريبة بلا أوراق ولم يخطر بباله أبدًا أنها قد تكون يهودية؟ هل يمكن أن يصدق أحد كلامه هذا؟ وأكثر من ذلك: كيف أقنعت فتاة يهودية حلمي العربي المسلم أنها مسلمة وعربية وحتى إنها قريبته؟ ثم في نفس اليوم الذي يكتشف فيه رجال البوليس السري حقيقة آنا ومخبأها عند حلمي، في نفس هذا اليوم تختفي هي متجهة إلى ديساو؟*

*أيها السادة، يجب عليكم أن تعثروا على هذه الفتاة الوقحة! قال حلمي ذلك وحبس أنفاسه مترقبًا.*

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

*(305)- قارن ملفات التعويض لآنا، LABO برلين، رقم 52472، ص 2.*

*(306)- قارن خطاب آنا بتاريخ 10 يوليو 1945، أرشيف ياد فاشيم، م 31/12582.*

*(307)- قارن المرجع السابق.*

*(308)- قارن ملفات تعويضات جولي فير، LABO برلين رقم 72475، ص 12.*

*(309)- قارن ملفات تعويضات جورج فير، LABO برلين رقم 71761، ص 25.*

*(310)- قارن ملفات تعويضات مارتين رودنيك، LABO برلين رقم 23973، ص 4، 7، 17.*

*(311)- قارن المرجع السابق ص 8.*

*(312)- قارن المرجع السابق.*

*(313)- تقرير آنا بتاريخ 10 يوليو 1945، وأيضًا تقرير جولي فير بتاريخ 26 سبتمبر 1945، أرشيف ياد فاشيم، م 31/12582.*

*(314)- قارن المرجع السابق.*

(315)- قارن إقرار مشفوع بيمين للدكتور حلمي لتسليمه إلى هيئة التعويضات بتاريخ 9 فبراير 1953، نسخة موثقة في معمل برلين رقم 14500، ص 10 - 16، وأيضًا السيرة الذاتية لآنا، 1 نوفمبر 1945، أرشيف ياد فاشيم، م 31/12582.

(316)- قارن خطاب آنا بتاريخ 10 يوليو 1945، أرشيف ياد فاشيم، م 31/12582، ومن قرار مشفوع بيمين للدكتور حلمي لتسليمه إلى هيئة التعويضات بتاريخ 9 فبراير 1953، نسخة موثقة في معمل برلين، رقم 14500، ص 10 - 16.

(317)- قارن ملفات تعويض آنا، معمل برلين، رقم 52472، ص 2 و24.

(318)- قارن بيتر فارنيكا، المنزل الصغير والحب والأمل، قصة الحديقة الصغيرة، برلين 2001، ص 48 وما بعدها.

(319)- قارن السيرة الذاتية لآنا بتاريخ 1 نوفمبر 1945، وخطاب آنا بتاريخ 10 يوليو 1945، أرشيف ياد فاشيم، م 31/12582.

(320)- قارن السيرة الذاتية المكتوبة بخط اليد لآنا في ديسمبر 1953، الأرشيف المحلي لبرلين 078، رقم 0561، "أبطال لم تتم الإشادة بهم"، (طلب محمد حلمي)، ص 13 -17، هنا ص15.

(321)- قارن المرجع نفسه.

(322)- قارن خطاب جولي فير بتاريخ 26 سبتمبر 1945، أرشيف ياد فاشيم، م 31/12582.

(323)- تقرير لآنا بتاريخ 10 يوليو 1945، أرشيف ياد فاشيم رقم .M 31/12582.

(324)- قارن المرجع نفسه وقرار مشفوع بيمين لدكتور حلمي لتسليمه إلى مكتب التعويضات بتاريخ 9 فبراير 1953، نسخة موثقة في معمل برلين، رقم 14500، ص 10 - 16.

(325)- قارن ملفات التعويض لجولي فير، معمل برلين، رقم 72475.

(326)- قارن خطاب جولي فير بتاريخ 26 سبتمبر 1945، أرشيف ياد فاشيم، م 31/12582.

(327)- قارن خطاب آنا بتاريخ 10 يوليو 1945، أرشيف ياد فاشيم، م 31/12582.

*(328)- قارن قرار مشفوع بيمين لدكتور حلمي لتسليمه إلى هيئة التعويضات بتاريخ 9 فبراير 1953، نسخة موثقة في LABO برلين، رقم 14500، ص 10 - 16.*

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

# *زيارة في القاهرة*

*تتكدس القمامة أمام هذه البوابة الخشبية على ما يبدو منذ أمدٍ طويل، وتعبث قطة نحيفة في أحد الأكياس البلاستيكية المربوطة مُحاولةً فتحها حتى ظهر قشر اليوسفي من داخل الكيس، وحفاضات وأغصان أشجار وأعقاب سجائر. نوافذ الطابق الأرضي مؤمنة بالقضبان الحديدية والأسلاك الشبكية كي لا يتمكن أحد من إلقاء القمامة أو الأحجار إلى الداخل كما يحدث في الطابق الأول حيث النوافذ مُحطمة ويغطي الهَباب ما تبقى منها.*

*عندما يقف المرء اليوم في القاهرة نهاية حارة تجارية طويلة مُتربة أمام هذه البوابة الخشبية وينظر إلى أعلى، سيجد لوحتين من المرمر الأبيض: (Anochi adonaj) أنا الرب إلهك، (Lo tirzach) لا تقتل، وثماني جملٍ أخرى؛ الوصايا العشر، نقشها شخصٌ ما قبل زمن طويل بالعبرية بشكلٍ جميلٍ، وقريبًا كتب البعض تحتها بالعربية ألفاظًا خارجة.*

*هذا هو الكنيس اليهودي الوحيد الذي لا يزال موجودًا في حارة اليهود في القاهرة، بعد أن كانوا خمسة سابقًا (329)، حارة ضيقة يصل اتساعها بالكاد ثلاثة أمتار، تجوبها حافلات السوزوكي الصغيرة مُحملة بالكراتين.*

*في القاهرة الشوارع التجارية مُقسمة حسب التخصصات، وفي هذا الشارع تُباع ألعاب الفتيات والأشياء البراقة والأساور وحيوانات اللعب. قديمًا كان الوجود اليهودي قويًّا في تلك المنطقة من القاهرة، أما اليوم فلا يوجد سوى اسم هذه الحارة –حارة اليهود– يُذكر بالحياة اليهودية في حي الجمالية. لا تزال القطة تنهش في قنديل ذرة شامية، فيصيح شخصٌ ما فيها وتفر مبتعدة. مضى ما يزيد على مئة عام منذ كان محمد حلمي يعيش هنا في العاصمة المصرية التي كانت تسكنها أقلية يهودية كبيرة.*

*واليوم فلم يعد بإمكاننا سماع قصة حلمي وآنا من أصحابها الحقيقيين، إذ تُوفيت آنا عام 1986 في نيويورك، وتُوفي حلمي عام 1982 في برلين، ولكن يمكن سماع القصة من أشخاص آخرين مثل الأستاذ الدكتور ناصر قطبي قريب حلمي الذي يعيش في القاهرة. الرحلة إليه مفيدة جدًّا تمامًا مثل الرحلة إلى الأفراد الآخرين من عائلة حلمي الكبيرة، ولكن فجأة لا يصبح الأمر مجرد قصة من الماضي، بل أيضًا عن الحاضر.*

*عند تدشين الكنيس اليهودي في حارة اليهود عام 1910 أُطلق عليه كنيس ميمونيدس، تكريمًا للمفكر اليهودي الأكبر على ما يبدو في العصور الوسطى موسى بن ميمون. "ابن ميمون" صحح لنا الأستاذ الدكتور ناصر قطبي قريب*

*حلمي مبتسمًا. "اسمه ليس ميمونيدس، دعونا لا نظلم الرجل من فضلكم، ميمونيدس هذا هو الاسم اليوناني، لكن اسمه في الحقيقة ابن ميمون".*

*يبدو الرجل عريض المنكبين أشيب الشعر أنيقًا في حلته ذات الخطوط الدقيقة. الشمس حارقة، فيبحث عن الظل أمام الكنيس المتداعي. إنه ابن أخي حلمي ويبلغ من العمر 80 عامًا ويعمل أستاذًا مُتفرغًا في كلية الطب في ثاني أكبر جامعة مصرية.*

*يرى الأستاذ الدكتور قطبي أنه ينبغي على جميع المصريين أن يفخروا بابن ميمون، ذلك العالم الموسوعي من القرون الوسطى، كما ينبغي أن يفخروا بكثير من اليهود مثل نجمة الطرب ليلى مراد التي كانت مُطربة مصر الأشهر في شباب حلمي، وغيرها الكثير من الفنانين والملحنين والمفكرين. وقال إن مصر كانت قبل الحرب موطنًا للأديان الثلاثة، وكان فيها وزراء مسيحيون ويهود، حيث كان اليهود جزءًا من المجتمع.*

*موسى ميمونيدس أو ابن ميمون هذا المفكر اليهودي طالب في العصور الوسطى بعدم فهم الكتاب المقدس حرفيًّا بل مجازيًّا، وهو الأمر الذي تناوله فلاسفة التنوير اليهودي بحماس في القرن التاسع عشر، وكان من بين جمله الشهيرة: "إن عجز أفهامنا عن إدراك حقيقة الإله يُشبه عجز أبصارنا عن إدراك ضوء الشمس"، على أن ابن ميمون لم يكتب "الإله"، بل كتب "الله"، إذ ألف كل مؤلفاته تقريبًا بلغته الأم وهي اللغة العربية، وكان يعيش في القاهرة.*

*قبل مئة عام عندما كان محمد حلمي تلميذًا، كان يعيش في مصر نحو 150.000 يهودي مصري، وكان أحد أبناء عمومة حلمي مُتزوجًا من يهودية كانت تدير متجرًا للأزياء العصرية في القاهرة كما حكى الأستاذ الدكتور قطبي، ولكن في عام 1945 بدأت المذابح الدامية بحق الأقلية اليهودية في مصر ووصلت أوجها عام 1949 في شكل سلسلة من التفجيرات، إذ أعلن القوميون العرب جيرانهم اليهود أجانب معادين لهم، وبدأ الدخان يتصاعد من حارات الجمالية وتدوي الصرخات ليلًا، وحتى عام 1956 تم تقريبًا طرد كل اليهود المصريين من وطنهم، ويُقال اليوم إن قرابة مئة يهودي لا يزالون يعيشون في البلاد.*

*ويحكي الأستاذ الدكتور قطبي في أسى: "إذا صدقنا اليوم الإشاعات الخبيثة فمصر مليئة باليهود" ويقول إن ذلك مجرد تشنيع، ويقول إن من طرق تشويه السمعة المنتشرة الآن في مصر أن يدعي المرء أن شخصًا ما أصله يهودي أو متزوج من يهودية.*

*"لقد تعلمنا منذ الصغر أن المحرقة ما هي إلا كذبة كبيرة"، هكذا كتب عام 2004 محمد الزرقاني رئيس تحرير مجلة اللواء الإسلامي الحكومية المصرية التي نشرت مقالًا يحمل عنوان: "أكاذيب حرق اليهود". وماذا عن إبادة اليهود الأوروبيين؟ مجرد اختلاق صهيوني، هذا ما لا يزال الكثيرون في الشعب يعتقدونه حتى اليوم.*

*أصبح كنيس ابن ميمون أطلالًا، لكن هناك كنيس يهودي آخر لا يزال يعمل في القاهرة يُسمى "بوابة السماء" أو بالعبرية "شار هاشماجيم". يقع هذا المبنى في شارع عدلي، وهو شارع واسع مزدحم، ويشبه الكنيس من الخارج المخبأ الحصين، ارتفاعه 25 مترًا وبه صفان من النوافذ الصغيرة المزودة بالقضبان الحديدية، وبينها رسومات لأشجار تحمل ثمارًا كبيرة من جوز الهند ونجمة داوود السداسية، ولكن لا أحد يدخل المبنى على ما يبدو –حتى في عصر يوم السبت موعد قداس السبت الرئيس- ويحرس المبنى رجال شرطة مصريون مُسلحون ببنادق آلية يُبعدون الفضوليين الذين لا يعرفون المداخل الخلفية الخفية.*

*يُفضل الأستاذ الدكتور قطبي التفكير في ماضٍ آخر كان بوسع اليهود التحرك فيه بحرية أكبر، "لقد كانوا يتعرضون طوالً الوقت تقريبًا للاضطهاد في أوروبا، بينما عاشوا في الشرق الأوسط وسط الأغلبية المسلمة في سلام". هل كانت تلك عصور تسامح؟ فيجيب قائلًا: "لا، ليس تسامحًا، فالتسامح يعني أن أتحمل كونك مُختلفًا، لكني لن أبالي حتى إذا ابتلعتك الأرض، ولن أتأثر بذلك، فالتسامح ليست كلمة جيدة، إنه التقدير!".*

*لقد زار عمه الكبير دكتور حلمي كثيرًا في برلين بعد الحرب، وكانا يذهبان إلى المسرح أو المطاعم، "أو كنا نزور جدتي" كما يحكي الأستاذ الدكتور قطبي، "كانت تعيش سابقًا في شارلوتينبورج، أما اليوم فتعيش في جزيرةٍ ما"، يقصد بذلك تمثال الملكة نفرتيتي المعروض في جزيرة المتاحف في برلين. كان حلمي لا يزال يعيش في ألمانيا، ولكن لماذا ظل هناك بعد الحرب؟ حتى قريبه في القاهرة لا يملك إجابة كافية لهذا السؤال. ألم يتمنَّ أبدًا مغادرة ذلك البلد الذي دمرته القنابل وأحدق به الفقر وأحاط به الخزي والعار؟ يهز الأستاذ الدكتور كتفيه ويحكي عن الحياة الرغيدة التي عاشها حلمي في ألمانيا –على الأقل بعد الحرب- وكيف تزوج أخيرًا من خطيبته إيمي وكيف جعله الحلفاء الذين كانوا يبحثون عن ذوي الماضي السياسي النظيف مديرًا لمشفى برلين بوخ.*

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

*كان الحظ حليفًا لحلمي، فعندما ذهب إلى البوليس السري في ربيع عام 1945 وقص عليهم كذبته الكبرى، كان من الممكن أن تكلفه تلك المغامرة حياته، لقد خاطر بكل شيء في هذه الخطوة وواجه رجال البوليس السري وجهًا لوجه، ربما تشككوا في قصته، ولكن يبدو أن أحدًا لم يكلف نفسه عناء التحقق من أقوال حلمي المليئة بالمغامرات في خضم الأسابيع الأخيرة من الحرب، وبذلك استطاع حلمي أن يتنفس الصعداء في انتظار نهاية هذا النظام القمعي.*

*وصل الجيش الأحمر منطقة برلين بوخ يوم 21 أبريل من عام 1945، (330) وتمكنت آنا من نزع الحجاب والتحول ثانية إلى الفتاة اليهودية التي كانتها للمرة الأولى من دون أن تخشى على حياتها، فتاة يهودية تدين للمسلمين بنجاتها. بعد ذلك بسنوات، في الثاني من يونيو من عام 1960 رفعت آنا يدها اليمنى في مكتب كاتبة العدل تيودورا جوفين في نيويورك وأدلت بإقرارٍ تحت القسم أرسلته إلى برلين، إلى مقر الجالية اليهودية في شارع Joachimstaler Straße وكذلك إلى مجلس الشيوخ طالبت فيه بتكريم الدكتور حلمي، ذلك "الإنسان الرائع" الذي يرفض أي شكر.*

*وفي خريف عام 2013 صُنعت ميدالية في إسرائيل نُقش عليها: "من ينقذ نفسًا فكأنما أنقذ العالم بأسره". وهي مقولة يهودية من التلمود. وقد كرمت مُؤسسة ياد فاشيم الإسرائيلية لتخليد ذكرى المحرقة حتى الآن أكثر من 25000 رجل وامرأة من الشجعان الذين أنقذوا يهودًا خلال الحرب العالمية الثانية، وذلك بمنحهم لقب "الصالحون بين الأمم". ومن أشهر هذه القصص حكاية الفتاة آنا فرانك التي أخفاها الزوجان ميب وجان جيس من النازيين في أمستردام، ولكن القصة التي نحكيها في هذا الكتاب أيضًا فريدة من نوعها، فرغم وجود نحو مئة مسلم من بين "الصالحون بين الأمم" أغلبهم من البلقان ووسط آسيا، لا يوجد سوى عربيّ واحد هو حلمي.*

*تلقى أقارب حلمي في القاهرة دعوة من مؤسسة ياد فاشيم، كان يُفترض أن يكون ذلك حدثًا كبيرًا، لكنهم لم يسافروا إلى هناك، ولم يرغبوا في قبول الجائزة لأنها من إسرائيل. وتحول الأمر لفترة قصيرة إلى حدث سياسي كبير عندما ظهرت على موقع ياد فاشيم الإلكتروني تعليقات تتحدث عن "مؤامرة صهيونية" تستغل حلمي بوصفه أحمق مُفيدًا لآلة الدعاية الإسرائيلية.*

*ولهذا الأمر قصة قديمة، فقد حاول المؤرخ الأمريكي روبرت ساتلوف لسنوات طويلة سرد قصص العرب الذين أنقذوا حياة جيرانهم اليهود، وخلال التحضير لكتابه "بين الصالحين (Among the Righteous)" أخذ يبحث أساسًا في شمال إفريقيا حيث كان يعيش الكثير من اليهود سابقًا، فقد طبق نظام*

*فيشي الفرنسي الموالي للنازيين في المغرب عام 1940 قوانين معادية لليهود، لكن السلطان محمد الخامس رفض تطبيق هذه القوانين، وفي إشارة تحدٍّ دعا جميع حاخامات اليهود في البلاد إلى مراكش لحضور احتفالات العرش.*

*ولكن الباحث سالتوف ذُهل؛ خلال بحثه واجه جدارًا من الصمت، وكأنه فتح أمرًا محظورًا، رغم أنه كان يتوقع العكس: أن يُسر الناس في الدول العربية بأن ينشر الأفعال البطولية لأهل بلدهم، لكنه يقول مُلخصًا: "كتبت إلى دبلوماسيين وصحفيين، إلى علماء وساسة، ولكن الإجابة كانت واحدة دائمًا: الصمت". (331)*

*أخذ الباحث يتحرى عن حالة مُثيرة في باريس، حالة مدير الجامع الكبير سي قدور بن جابريت الذي يقال إنه خبأ يهودًا خلال الحرب العالمية الثانية، (332) وهناك فيلم للمخرج الفرنسي إسماعيل فروخي حصل على جائزة في مهرجان كان عام 2011 يُسمى "Les hommes libres"، وهو الذي أعد الصور المبهرة عن هذه القصة؛ لكن ساتلوف اكتشف أن هذه القصة فيها من الخيال أكثر من الحقيقة.*

*واقترح ساتلوف عام 2007 على مؤسسة ياد فاشيم بدلًا من ذلك تكريم التونسي خالد عبد الوهاب كواحد من "الصالحون بين الأمم"، ولكن أذهله جدار آخر من الرفض، فقد عارضت إيرينا شتاينفيلت مديرة قسم "الصالحون" هذا الاقتراح متعللةً بأن هذا الشاب التونسي لم يخاطر بحياته عندما استضاف عائلتين يهوديتين في مزرعة عائلته الثرية عام 1942 ليحميهما من العمل بالسخرة في معسكرات العمل التابعة للمحتلين النازيين، وكان يبلغ من العمر حينها 31 عامًا، حيث إن المخاطرة بحياة المرء نفسه شرط لمنح التكريم.*

*وحدث نقاش حاد أشار خلاله سلف شتاينفيلت موردخاي بالديل إلى أن بعض الأوروبيين كُرموا فقط بسبب "خطر تعرضهم للعقاب"، وتحدث عن فرصة البعث بإشارة إلى العالم العربي، ولكن كل هذا لم يُجد نفعًا. (333)*

*إن الأمر لا يتعلق أبدًا بالماضي وحسب، كما يقول المؤرخ ساتلوف، بل أيضًا بالحاضر، "فالماضي يُمثل مصدرًا قويًّا للتحفيز والأحقاد والشرعية" لكلا الفريقين: اليهود والعرب. (334)*

*عندما يدير المرء بصره في منزل الأستاذ الدكتور قطبي يرى تماثيل أفراس البحر من الخشب الغامق تصطف بجوار مصابيح الزينة من الصين والآنية الخزفية من الدنمارك والمنحوتات الخشبية من أوبرامرجاو البافارية، ولأن*

*اليوم الجمعة والخادم في إجازة، يُقدم بنفسه شراب الكركديه مُرحبًا. لقد سافر كثيرًا وشاهد الكثير حول العالم ويتحدث عدة لغات، لكنه يرفض أيضًا تكريم مؤسسة إحياء ذكرى المحرقة في القدس ويقول: "من الذي جعل من ياد فاشيم مُمثلًا لجميع اليهود؟"، عندما أنقذ حلمي أرواح الناس في برلين قبل عام 1945 لم يكن هناك أساسًا بلد يُسمى إسرائيل، وحتى اليوم يعيش نصف اليهود خارج إسرائيل، لذلك فإن ياد فاشيم "تريد فقط تسييس بطولات حلمي"، هكذا رأى الأستاذ الدكتور قطبي (335).*

*يعيش أقارب حلمي اليوم في القاهرة، في حي عين شمس، حيث تتدلى قصاري الورد من العمارة، وداخل الشقة نرى بروايز الصور المُذهبة والوسائد المنقوشة وأبواب الشرفات المفتوحة. خيم الليل على المكان، وانضم إلينا قريبان آخران: أحد أبناء إخوة دكتور حلمي وأحد أحفادهم، جلسا على المقاعد الضخمة وأخذا يرتشفان الإسبريسو بين أنفاس السجائر: اللواء السابق محمد الكليش والضابط السابق أحمد نور الدين فرغل. ثم قالا: "لو كرمته أي دولة أخرى فسنسعد كثيرًا بهذا التكريم، فحلمي كان يساعد الجميع بغض النظر عن دينهم، لكن الآن تريد إسرائيل تكريمه لأنه ساعد اليهود. إن هذا لا يتوافق مع موقفه وأعماله".*

*بقدر القرب الذي كان يجمع اليهود والمسلمين سابقًا يبدو اليوم البعد الذي يفرقهم، فما يحدث حاليًا يؤثر بشكل كبير على الماضي، بخاصة موضوع الصراع في الشرق الأوسط. لقد كان دكتور حلمي مسلمًا فخورًا بدينه كما تقول السيدة المُسنة ميرفت الخشاب في الصالة بين الوسائد المنقوشة، وهي أرملة حفيد أحد إخوة حلمي وترتدي حجابًا أسود، وعندما يرن هاتفها المحمول نسمع الآذان كنغمة رنين، وتؤكد قائلةً: "سيان إذا ما كان المرء يهوديًّا أو مسلمًا أو مسيحيًّا"، فالإنسانية كدافع متأصل في الإسلام كانت هي المحرك لحلمي في أفعاله، "كلنا بشر"، ثم تضيف قائلةً: "من المؤسف أن دولة إسرائيل هي الدولة الوحيدة في الشرق الأوسط التي ترى هذا الأمر بشكل مختلف وتفرق جدًّا بين اليهود والمسلمين".*

*تعامل الأسرة الزائر القادم من ألمانيا بكل ود وكرم، لقد كادوا يحتضنونه، ولم يقاطعوا الحديث إلا مرةً واحدةً بشكل مفاجئ عندما سأل الضيف عن مدى صدق ما قرأه في بعض الخطابات القديمة حول كون أن والدي حلمي لم يكونا مسلمين فقط، بل كانت أمه ألمانية؟ رد أحمد نور الدين فرغل الضابط السابق حفيد أخي حلمي بفظاظة وغضب وقال إن هذه "الشائعة" هدفها الوحيد إلصاق أصل يهودي بحلمي، وكلها ادعاءات مُغرضة، وأخذ يتفحص الزائر القادم من ألمانيا وكأنه تسرع في الوثوق به، حتى الآن كانوا*

*يتفاهمون جيدًا باللغة الإنجليزية، ولكن الآن أراد أن يعرف تحديدًا ما هذه اللكنة التي يتحدث بها الضيف؟ أمريكية مثلًا؟*

*ولكن الحقيقة أن حلمي نفسه هو من بدأ نشر هذه "الشائعة" في خريف عام 1939 عندما كان محبوسًا في قبو الشرطة السرية يبحث عن مخرج، فكتب إلى وزارة الخارجية وإلى هتلر مستعطفًا يقول: "أمي ألمانية" (336)، كان في موقف يحتم عليه التعلق بأي قشة، "أنا مود حلمي طبيب الباطنة وُلدت في الخرطوم (مصر) بتاريخ 25/7/1901 لأم ألمانية"، هكذا زعم حلمي حينها، وأضاف قائلًا: "أنا مصري ألماني ومعارض للإنجليز ولن أتوانى أبدًا في محبة موطن والدتي". (337) كان حلمي يأمل أن قصة أصله الألماني ستجعل النازيين يرفقون به، وكان يظن ربما أنهم لن يكشفوا كذبته هذه، فلكونه أجنبيًّا لم يكن عليه حيازة صحيفة نسب. أما بعد الحرب عندما لم يكن حلمي في مثل هذا المأزق، فلم يزعم مُجددًا أن والدته ألمانية، بل كتب بصراحة: "والداي مصريان" (338)، وأن أمه "مصرية مسلمة" (339) واسمها أمينة رضا حسان الكومي. وقد عرضت الأسرة في القاهرة بعض الصور القديمة تظهر فيها بالزي التقليدي.*

*ورغم ذلك يريد أحمد نور الدين فرغل حفيد أخي حلمي توضيح الأمر بشكل قاطع ويريد تبديد كل الشكوك، ويقول: لأن حلمي عربي مسلم فقد فهم مبكرًا ما ستؤول إليه هذه "الحرب اليهودية". هكذا يطلق على الحرب العالمية الثانية. ويقول إن الناس أدركوا ما ستؤول إليه الأمور وأن اليهود سيأتون إلى فلسطين وسيتسببون في المشاكل، لذلك كان على المسلمين التصرف وإيقاف هتلر كما فعل حلمي.*

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

*نيويورك: تُلقي الشمس بأشعتها الحارقة، ويرتسم الظل من بين الواجهات الزجاجية لناطحات السحاب في وسط مانهاتن، وتسرع النساء بأحذيتهن ذات الكعب العالي إلى منازلهن رفقة كلابهن الصغيرة. نتجه بالمصعد إلى الطابق السابع عشر، وعلى باب الشقة نجد لوحة خشبية صغيرة مائلة تحمل آيات من التوراة، هنا التأم شمل عائلة يهودية كبيرة هي عائلة جوتمان. المكان ضيق، يأكلون ويضحكون ثم يخرجون ألبومات الصور وبورتريه أبيض في أسود لسيدة هادئة ممتلئة سوداء الشعر.*

*"إنها جدتنا الحبيبة، اسمها آنا". الابنة تشبهها كثيرًا. "لم تنج من الحقبة النازية ومن الحرب وسط عاصمة هتلر نفسها إلا بفضل مساعدة رجل مسلم مصري شجاع". تقول كارلا جوتمان غرينسبان ابنة آنا المولودة عام 1956 خلال هذا*

*اللقاء العائلي بين إخوتها وأطفالها وأحفادها "لولاه لكان هذا المكان خاليًا من الخمسة والعشرين شخصًا الموجودين الآن".*

*بالتأكيد فرح حلمي كثيرًا عندما علم بحياة آنا السعيدة في الولايات المتحدة، فقد كتبت له بعد وصولها إلى نيويورك عام 1946 خطابًا تقول فيه: "المحلات فيها كل شيء، وتجد في الشارع الواحد هنا زجاج نوافذ أكثر مما في برلين بأكملها".*

*"كان الطريق إلى نيويورك جميلًا بشكل لا يُنسى، وعلى بعد ساعة واحدة من نيويورك يقف تمثال الحرية في البحر، وهو جدير بالمشاهدة حقًّا، كل من مر به حتى الآن بكى، فالمرء يشعر فعلًا بأنه يدخل بلدًا حرًّا". (340)*

*وكتبت آنا من موطنها الجديد بعد الحرب تقول: "أعمل لدى بنت خالة فون بلومينشتاين، (341) اسمها سيلفيا بيرمان، وأمها أخت والدة فون بلومينشتاين.... وبنت الخالة هذه إنسانة رائعة، أنهت دراستها ومتزوجة من طبيب أمراض باطنة، لديها طفلان في عمر الثانية والحادية عشرة، وهما طفلان لطيفان. أنا حقًّا مسرورة وسعيدة جدًّا".*

*لم تكن آنا هي الوحيدة من عائلتها التي بدأت حياةً جديدة في الولايات المتحدة، فقد لحقت بها والدتها جولي وزوج والدتها جورج فير، ولكنها كما كتبت في أحد خطاباتها إلى وطنها القديم: "أنا الوحيدة التي تأقلمت سريعًا على الحياة هنا".*

*بعد نهاية الحرب مباشرة تعرفت في برلين على اليهودي البولندي حاييم جوتمان الذي أحبها وأحبته، كانت حينها تبلغ من العمر 22 عامًا. "لا أعلم شيئًا عن والديّ، لقد سافرا يوم الأحد إلى ديترويت كما تعرف ولم تصلني أي رسائل منهما"، (342) هكذا كتبت آنا عام 1947 إلى حبيبها حاييم الذي كان لا يزال وقتها في برلين، وطالبته باللحاق بها سريعًا إلى الولايات المتحدة وقالت: "هنا لا يمكن للمرء أن يعيش وحيدًا. يجب أن أشعر هنا بأنني في وطني، والناس يحسنون معاملتي، حقًّا لا يمكنني أن أقول شيئًا آخر". وقالت إن صاحب العمل، ذلك الطبيب والد الطفلين، إنسانٌ كريم وودود وصادق. "هذه العائلة تشبه إلى حد كبير دكتور حلمي".*

*بينما تتلألأ النجوم في سماء مانهاتن، لا تزال الأنوار مُضاءة في غرفة المعيشة بين الوسائد المطرزة والصور ذات البراويز المُذهبة، وللحظة تُذكرك هذه الحجرة بحجرة المعيشة في القاهرة، وهناك تشابه آخر يظهر في وقتٍ ما، فكما أن الأسرة القاهرية لا تعرف أحدًا من اليهود معرفة شخصية، فإن هذه الأسرة اليهودية في نيويورك لا تعرف مُسلمًا معرفة شخصية.*

*لكن ابن آنا تشارلز جوتمان ينشر على الفيسبوك مقاطع فيديو من بينها فيديو يحمل هذا العنوان: "إذا لم تكن خائفًا من الإسلام، فينبغي عليك أن تخاف" مُشيرًا إلى طبيعة هذا الدين التي يظن أنها تُعظم العنف.*

*وتحكي كارلا ابنة آنا عن نشأتها وأخيها كارل في نيويورك في الستينيات وتقول: "كنا نعيش في حي مع أصدقاء إيطاليين كاثوليك تمامًا كالأصدقاء اليهود ومع عمة لها جذور بيضاء وأخرى سوداء، لم نفرق أبدًا بين الكاثوليك واليهود والمسلمين وذوي البشرة السوداء أو البيضاء، كانوا جميعًا بالنسبة لنا بشرًا".*

*كتبت ابنة آنا خطابًا وطلبت تسليمه في القاهرة إلى أحفاد دكتور حلمي، قالت فيه: "أود فقط أن تعلموا أن هناك عائلة في الجانب الآخر من العالم تشعر بالامتنان والمحبة للدكتور حلمي، وإننا لا نزال مندهشين من أفعاله ونأمل أن تكون بطولته هذه مصدر إلهامٍ للآخرين".*

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

*(329)- المقصود حارة اليهود بمنطقة الموسكي (حيّ الجمالية) بالقاهرة، وكان بها 13 معبدًا يهوديًّا، تبقى منها ثلاثة معابد، أبرزها معبد موسى بن ميمون، الذي تم ترميمه مؤخرًا. (المُراجع)*

*(330)- قارن شهادة خطية مشفوعة بقسم لدكتور حلمي لتقديمها إلى مكتب التعويضات بتاريخ 11 مايو 1954، أرشيف برلين، 078، رقم 0561، ملف تعويضات "أبطال لم تتم الإشادة بهم"، (طلب محمد حلمي) ص 13 -17، هنا ص 17.*

*(331)- روبيرت ساتلوف، بين الصالحين الكثير من القصص المفقودة من محرقة الهولوكوست حتى دور العرب، نيويورك 2006، ص 173.*

*(332)- قارن المرجع نفسه ص 141-151.*

*(333)- سونيا حجازي "العرب وألمانيا النازية"، "المؤيدون والخصوم"، تم نشره على الإنترنت على موقع www.qantara.de بتاريخ 1.12.2010.*

*(334)- ساتلوف، بين الأصحاء، ذكر في موضع آخر ص 2.*

*(335)- وافق الدكتور ناصر قطبي لاحقًا على تسلم ميدالية تكريم عمه على أن يتم ذلك في برلين وبالفعل تسلمها في أكتوبر 2017 في مقر وزارة الخارجية الألمانية.*

*(336)- قارن مكاتبة دكتور حلمي إلى المفوضية الإيرانية بتاريخ 24 أكتوبر 1939، ومكاتبة حلمي إلى هتلر بتاريخ 8 ديسمبر 1939، كلاهما في الأرشيف السياسي لوزارة الخارجية R 27262.*

*(337)- مكاتبة حلمي لوزارة الخارجية بتاريخ 25 أكتوبر 1939، الأرشيف السياسي لوزارة الخارجية، R27262، قارن أيضًا مكاتبة حلمي إلى القنصل دكتور ميلش رقم 13.13.1939، ومن المرجع نفسه "وعلاوة على ذلك فأنا نصف ألماني".*

*(338)- قارن قرار مشفوع بيمين دكتور حلمي لتسليمه إلى هيئة التعويضات بتاريخ 9 فبراير 1953، نسخة موثقة في LABO برلين، رقم 14500، ص 10 - 16.*

*(339)- مكاتبة حلمي إلى مجلس المدينة بالقاهرة لطلب استخراج لشهادات الميلاد بتاريخ 16 ديسمبر 1959، أرشيف عائلة الكيلش.*

*(340)- خطاب آنا جوتمان إلى هنري جوتمان غير المؤرخ بتاريخ، أرشيف عائلة جوتمان.*

*(341)- قارن المرجع نفسه.*

*(342)- 157--"لا أعرف أي شيء عن أبي وأمي" وغيرها من الاقتباسات التالية: خطاب أنا جوتمان إلى هنري جوتمان بتاريخ 12 أغسطس 1949، أرشيف عائلة جوتمان.*

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

# الشخصيات

*آنا بوروس (ولدت في 22 نوفمبر 1925 في مدينة آراد، غرب رومانيا على حدود هنغاريا).*

*جاءت إلى برلين بصحبة والدتها "جولي" وهي في الثانية من عمرها. التحقت بالمدرسة عام 1931م، وفي عام 1938م نُقلت رغمًا عنها إلى إحدى المدارس اليهودية واتخذت من الدكتور حلمي ملجأ لها عام 1942م.*

*تزوجت آنا بعد عام 1945م من البولندي الأرثوذكسي اليهودي حاييم جوتمان في برلين الذي كان يقوم بعمل دراسة في تقنية الاتصالات اللاسلكية في أحد مخيمات النازحين. ثم هاجرا معًا إلى الولايات المتحدة الأمريكية وهناك قام بتغيير اسمه إلى هانز ثم إلى هنري، وبعد أن عملت كمربية عند أحد الأطباء الأمريكان أصبحت آنا نفسها أمًّا لثلاثة أطفال.*

*عاشت آنا في نيويورك حتى وفاتها عام 1986م والتحق أبناؤها بمدارس يهودية.*

*قامت آنا بزيارة منقذها الدكتور حلمي مرتين في برلين وقد اصطحبت ابنتها كارلا معها من نيويورك في إحدى المرتين وقدمتهما بعضهما لبعض بكل فخر.*

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

*دكتور هيلموت ديننج*

*الدكتور هيلموت دينج (13 يوليو 1895م) عضو بحزب العمال النازي الألماني، تقلد منصب رئيس الأطباء للقسم الداخلي الأول في مستشفى موابيت عام 1934 ومن ثم كان رئيسًا للدكتور حلمي. وبعد سبه للدكتور حلمي ناعتًا إياه بـ"الشرقي" واستبعاده من المستشفى في عام 1937م عمل دينج استشاريًّا لطب الباطنة بالقوات المسلحة النازية منذ عام 1939 حتى نهاية الحرب. وبعد نهاية الحرب أصبح كبيرًا للأطباء في القسم الداخلي بمستشفى كارل أولجا في مدينة شتوتجارت.*

*قام دينج أثناء محاكمة أطباء نورنبرغ بالشهادة لصالح الطبيب المساعد هيرمان بيكر فريسنج الذي كان يعمل سابقًا بمستشفى موابيت والمتهم بإجراء تجارب على البشر في معسكر الاعتقال داشاو.*

*عام 1947 أصبح طبيبًا بالصليب الأحمر الألماني ثم عضوًا في لجنة العقاقير للمهن الطبية الألمانية عام 1956م.*

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

*إيمي آنا أوجوست أرنست (ولدت في 19 مارس 1916 ببرلين)*

*عملت كمساعدة طبيب فور تعرفها على دكتور حلمي في برلين وقام بخطبتها عام 1939، وقامت إيمي بمساعدة حلمي في العمل الطبي وعمليات الإنقاذ السرية.*

*إلا أنهما لم يتمكنا من إقامة حفل زفاف حيث لم يستطع أي منهما الحصول على تصريح من السلطات لأسباب عنصرية وبذلك لم يتزوجا إلا بعد انتهاء الحرب في يونيو 1945، بعدها سافرا سويًّا عدة مرات إلى مصر حيث تقطن عائلة حلمي، وبعد وفاة حلمي عام 1982 حافظت إيمي على إبقاء اتصال وثيق بأسرته حتى وفاتها في برلين عام 1998م.*

*وبالرغم من أنها كانت تتحدث اللغة العربية بشكل طفيف إلا أنها كانت تمازح أبناء أخ حلمي في مصر. بأن كونها حصلت على جواز السفر المصري من خلال الزواج عام 1945م، ظلت مصرية لفترة أطول من أعمار أبناء الأخ هؤلاء.*

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

*الدكتور كمال الدين جلال (1903)*

*جاء برفقة الدكتور حلمي عام 1922م إلى برلين ودرس الصحافة في الكلية التقنية في شارلوتينبرج، حصل عام 1939م على الدكتوراة في "نشأة وتطور الصحف اليومية في مصر".*

*عمل كمراسل للصحيفتين المصريتين "البلاغ" و"الأهرام" وفي الوقت نفسه كان ناشطًا وطنيًّا ومناهضًا للاستعمار في اتحاد الطلاب المصري وأيضًا كأمين للمعهد الإسلامي المركزي منذ عام 1942م.*

*قربه من النظام النازي وخاصة من المفتي الأكبر لبيت المقدس مكنه من لعب دور كبير في عمليات الإنقاذ السرية التي قام بها الدكتور حلمي. عاش طويلًا في شمال ألمانيا بعد انتهاء الحرب وعمل هناك كملحق صحفي لمصر.*

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

*عبد العزيز حلمي حماد (مواليد 6 مايو 1906 في فاقوس، مصر)*

*جاء إلى برلين عام 1924م بغرض الدراسة، ولكن سرعان ما انغمس في العالم الفني أكثر من العالم الأكاديمي، وكانت العائلة في مصر تقع سياسيًّا*

*تحت دائرة الضوء لكون والده عمدة مدينة فاقوس.*

*زوّج الأب الشاب حماد من العروس فاطمة عند سفره إلا أن العلاقة لم تستمر فانفصلا، ورجعت هي تحمل طفلهما الرضيع عائدة إلى مصر، وبقيت له موسيقى "الجاز Jazz" شغفه الحقيقي حيث لاقى نجاحًا في عمله كمدير لبار كارلتون بالقرب من كورفورستيندام.*

*من الممكن أن يكونا قد تعارفا هو وحلمي في أحد نوادي الطلبة في برلين، ولكن الأكيد أنه تم احتجازهما معًا عام 1939م لعدة شهور من قبل البوليس السري "جيستابو".*

*ولعب حماد دورًا فعالًا بين شبكة أصدقاء حلمي من المسلمين والتي ساعدته في عمليات الإنقاذ السرية التي قام بها. لكن ماذا حدث له بعد الحرب؟ لا يزال هذا الأمر مجهولًا.*

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

*رياض أحمد محمد (ولد في 15 سبتمبر1888 بالقاهرة)*

*كان يعد بمثابة ممثل لاتجاه معتدل بهدف الوصول إلى تفاهم دولي بدلًا من استخدام الحرب للتحرير، ويبدو ذلك نسبيًّا في اتجاهه السلمي نحو بريطانيا العظمى. وقد قاد العديد من الجمعيات لفترة من الوقت، كان منها الجالية المسلمة والجمعية الألمانية الإسلامية.*

*وفي عام 1939 استطاع إعادة إحياء المعهد الإسلامي في برلين كمرجع ثقافي بمساندة مجموعة من الألمان المعتنقين للإسلام. وحينما احتجزه النازيون عقب اندلاع الحرب في خريف عام 1939 مع آخرين من المصريين تولى كمال الدين جلال رئاسة المعهد الإسلامي وقد كان قوميًّا عربيًّا شديد العداء لبريطانيا العظمى آنذاك. أما الذي حدث لرياض بعد الحرب فهذا أمر لا يزال غير معروف.*

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

*دكتورهوجو "حميد" ماركوس (ولد في 6 يوليو 1880 في بوزين وتقع في بولندا حاليًا)*

*هو ابن إحدى العائلات اليهودية العاملة بالصناعة وكان واحدًا من مثقفي برلين في عهد فايمار. وقد اعتنق الإسلام في مطلع العشرينيات من القرن العشرين وأطلق على نفسه اسم "حميد". كان ممثلًا للمسجد ببرلين في الفترة من 1923 حتى 1938. وترأس المجلة الإسلامية der islamische*

*Reveau، وقام بترجمة القرآن إلى اللغة الألمانية وتولى رئاسة الجالية الإسلامية الألمانية في الفترة من 1930 إلى 1935 وظل في الوقت نفسه عضوًا في الجالية اليهودية أيضًا.*

*وكان هوجو ماركوس في مطلع القرن واحدًا من أبرز الشخصيات في المشهد الأدبي في برلين، فهو مؤلف للكتب الأكثر مبيعًا التي تتناول مواضيع مناهضة للحرب وكذلك كان دكتورًا في الفلسفة. وفي عام 1938 وبمساعدة الجالية المسلمة فر هاربًا إلى المنفى في سويسرا حيث نجا بحياته. عمل بالكتابة بعد الحرب لفترة طويلة في مجلة الدائرة „der Kreis" تحت الاسم المستعار "هانز أليونوس" وهي مجلة سويسرية كانت مخصصة للمثلية الجنسية.*

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

*جدة آنا "سيسيل رودنيك" (ولدت في 27 أكتوبر 1875 بمدينة هدمزوفازارهلي في المجر)*

*جاءت إلى برلين في السابعة عشرة من عمرها وعملت على مساعدة أخيها الذي كان يدير متجرًا جيد المبيعات للفاكهة والخضر. تعلمت سريعًا وتنقلت كبائعة ناجحة ما بين برلين وهنغاريا. بعد الموت المفاجئ لزوجها الأول موريتس شفارتس عام 1912 والذي أنجبت منه ابنتها جولي، ظلت سيسيل مستقلة وناجحة.*

*تزوجت من التاجر مواس رودنيك عام 1914 وأنجبت منه طفلها مارتين. إلا أنها لم تجتمع أبدًا مع ابنتها جولي وحفيدتها آنا بعد التحرر عام 1945. حيث كانت سنوات الاختباء هي سنوات اختلاف وشجار أيضًا. ذهبت مع ابنها مارتين إلى إسرائيل لكنها عادت بعد بضع سنوات خائبة الأمل إلى برلين بسبب الصعوبات الاقتصادية التي واجهتها، وتوفيت عام 1953.*

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

*خال آنا "مارتين رودنيك" (ولد في 7 مارس 1918 في برلين)*

*هو ابن سيسيليا من زواجها الثاني وأخ غير شقيق لجولي، وكان قد بدأ تدريبًا مهنيًّا كمساعد طبيب أسنان قبلما يجبره النازيون على التوقف عن هذا العمل. وبدءًا من عام 1940 عمل كعامل سخرة في مصنع لتجهيز الصفائح المعدنية في منطقة الفايسنزيه.*

*ولى هاربًا من الترحيل في عام 1943 حيث لجأ إلى الفرار والاختباء لدى العديد من صديقاته المقيمات ببرلين. وفي عام 1941 تعرف على الخياطة*

*هيلد جارد أولبريش المقيمة بفيلمارسدورف عن طريق صديقة مشتركة لهما وهي اليهودية أورسولا ريدليش. لكنه قام بخطبة إحدى الأخريات اللائي ساعدنه وتدعى فيرا كولآر. وبعد الحرب تزوج في برلين من راقصة الملهى الليلي الفيينية لاونا، والتي كان والدها عامل سيرك من أصول إفريقية. فذهبا معًا في بادئ الأمر إلى إسرائيل حيث عملت لاونا كراقصة في حيفا. ولكن لم يجد مارتين عملًا ولم يستطع حينئذ الإنفاق على والدته سيسيل البالغة من العمر سبعين عامًا والتي كانت قد قدمت معه. وقد عاد محبطًا مرة أخرى إلى برلين. وبعد وفاة سيسيل في عام 1953 بدأ مارتين مع لاونا حياة جديدة وناجحة في نيويورك.*

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

*زوج جدة آنا "مويزه (ماكس) رودنيك" (*22 أكتوبر 1877 في أياسي برومانيا)*

*قام بتأسيس شركة م. رودنيك لتجارة الفاكهة في 77 شارع فردريش الجديد ببرلين، وأصيب في عام 1930 بسرطان المعدة وأصبح في حاجة للرعاية. قامت والدة آنا "جولي" على رعايته وواصلت العمل في الوقت نفسه مع جدة آنا "سيسيليا" في متجر الفاكهة الكبير. وفي عام 1939 توفي في مشفى يهودي ودفن في فايسنزييه Weißensee.*

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

*فرايدا ستورمان (ولدت في 12 يونيو 1897)*

*عاشت كأم وعاملة منزلية في مدينة ستاكين بالقرب من شبانداو. وقد كانت شخصية مألوفة للدكتور حلمي لكونها مريضته لسنوات طويلة. ففي مارس عام 1942 عندما كان يبحث عن شخص غير لافت للأنظار ليخبئ يهودية عنده كانت هي من خطرت له.*

*عرّضت فرايدا ستورمان حياتها للخطر لسنوات طويلة حيث قامت بتخبئة سيسيل رودنيك ومن بعدها آنا بوروس لفترة قصيرة. وقد تم تكريمها في عام 2013 مثلها مثل حلمي من قبل مؤسسة "ياد فاشيم" لإحياء ذكرى المحرقة بعد الموت تحت عنوان "العدالة بين الشعوب"، حيث تسلم حفيدها "ديتر" شهادة التكريم من السفير الإسرائلي ببرلين باليد. وقد ظلت تتداوى كمريضة للدكتور حلمي لسنوات طويلة بعد الحرب. عاشت في شتايكن مع زوجها المتقاعد وابنها حتى وفاتها عام 1966.*

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

*والدة آنا "جوليانا (جولي) فير" (ولدت في 14 سبتمبر 1902 في أوراشازا في المجر)*

*نشأت في المجر وانفصلت عن زوجها الأول اليهودي لاديسلاوس بوروس صاحب أحد المصانع بمدينة آراد في المجر عام 1927.*

*جاءت إلى برلين برفقة ابنتها آنا ولعبت دورًا فعالًا في تجارة الفواكة التي كانت تمتهنها والدتها.*

*تزوجت من البرليني جورج فير عام 1929 والذي كان يعد في نظر القانون النازي غير يهودي رغم اعتناقة لنفس ديانة زوجته.*

*تم تجنيد جولي في أعمال السخرة عام 1942، إلا أن زواجها من شخص غير يهودي كانت له فائدته الكبيرة حيث حماها من سوء الأقدار.*

*في عام 1946 أولت ظهرها لألمانيا إلى الأبد حيث رافقت ابنتها آنا إلى الولايات المتحدة الأمريكية.*

*عملت كطاهية في ديتروت بمقابل 50 دولارًا أسبوعيًّا، إلا أنها سرعان ما تركت هذا العمل لكونه شاقًّا عليها. وقد ظل حلمها بأمريكا أن تفتح مطعمًا للمأكولات الهنغارية مع ابنتها، لكنه بقي حلمًا لم يتحقق.*

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

*جورج فير (زوج والدة آنا) (ولد في 22 أغسطس 1904 في ترون- بروسيا الغربية)*

*عمل كبائع للمأكولات الجاهزة في برلين واعتنق اليهودية عام 1929 بعد زواجه من جولي ابنة تاجر الفاكهة. وفي عام 1943 صدر قرار بدخول اليهود من ذوي الدم الألماني المتزوجين من يهوديات لمعسكر العمل بمنظمة "توديت"، وسرى ذلك على „فير" أيضًا. تم نقله إلى معسكر السخرة رقم 3 في مدينة ينا الألمانية في 9 نوفمبر 1944.*

*كان يتذكر ذلك فيما بعد قائلًا: "كان الجميع يخافون أن تكون نهايتهم الموت بالرصاص". وعلى أثر هذا الهلع فقد نقص وزنه 60 رطلًا خلال هذه الفترة التي استمرت خمسة أشهر.*

*ذهب إلى برلين بعد التحرير ومنها إلى الولايات المتحدة الأمريكية عام 1946 برفقة جولي بعد أن عادا إلى بعضهما.*

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

*دكتور محمد (موهد) حلمي (ولد في 25 يوليو 1901م في الخرطوم كمصري بريطاني واسمه بالكامل محمد حلمي أبو العينين أحمد)*

*كان الابن الرابع من خمسة أبناء للرائد العسكري المصري أبو العينين سيد أحمد وزوجته أمينة رضا حسن الكومي، اضطر حلمي أثناء فترة النازية أن يزعم لفترة وجيزة أن والدته ألمانية، ولكن وفقًا لتاريخ العائلة القديم وبعض مراسلات حلمي الكتابية العربية مع السلطات في القاهرة عام 1959م اتضح أن هذا لم يكن سوى حيلة استخدمها لمراوغة النازيين الذين كانوا يضايقونه، أما والدته فكانت مصرية مسلمة وقد أقر هذا بوضوح عام 1959م.*

*بدأ حلمي بدراسة الطب في جامعة فريدريش فيلهلم في برلين عام 1922م وأصبح طبيبًا مساعدًا في مستشفى موابيت عام 1930 وطبيبًا مشرفًا عام 1933.*

*سعى حلمي جاهدًا لاستخدام اسمه المستعار (موهد) بناءً على نصيحة زوجته الألمانية، الذي اختصره بعد الحرب إلى (مود) لأسباب عملية حيث كان اسم محمد يثير الارتباك لدى كثير من الألمان.*

*قام النازيون بطرده من المستشفى عام 1937م ومن ثم قام بممارسة عمله بشكل خاص من منزله في 7 شارع كريفلدر ومن ثم في إحدى العيادات في شارلوتينبرج، وهنا بدأ بالعمل على خطته التي أنقذت حياة الفتاه اليهودية "آنا".*

*بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية عام 1945 تمكن من الزواج من صديقته إيمي التي رافقته لسنوات طويلة، واستمر في العمل كطبيب على مدار عقود طويلة في برلين، وواصل مخاطبة آنا حتى وفاته في برلين عام 1982م.*

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

# السياسة الإسلامية للنازيين

## جدول زمني

*لم تبدأ محاولات الرايخ الألماني التودد إلى المسلمين من عام 1933. ففي الوقت الذي عاش فيه العالم الإسلامي تحت الحكم البريطاني والفرنسي والسوفيتي، كانت هناك استراتيجية ألمانية للحث على الثورة بين الشعوب الإسلامية في مناطق أعداء ألمانيا. "لقد اعتنق القيصر فيلهيلم الثاني الإسلام" هكذا نشرت عام 1915 إحدى مجلات الدعاية الألمانية التي كانت موجهة إلى العرب والتي استخدمت لدعم الألمان في الحرب العالمية الأولى. „لقد سمى نفسه الحاج فيلهيلم محمد، وقد قام سرًّا بعمل رحلة عمرة إلى مكة، وحذا كثير من الألمان حذوه وأصبحوا مسلمين". أما النازيون فقد مارسوا هذه المحاولات الدعائية على أعلى مستوى -هذا ما أشار اليه المؤرخ دافيد موتاديل الذي قام بتأليف ما يعد أفضل كتاب على الإطلاق في هذا الموضوع- حيث توجه النازيون إلى الشعوب الإسلامية في منطقة البلقان بوسط آسيا وشمال إفريقيا وجميع أطراف أوروبا المتعلقة بالحرب. إذ كانوا يأملون في عقد تحالف معهم ضد العدو المشترك، لا سيما البريطانيين والفرنسيين.*

*الأول من يوليو 1936: قررت مجموعة من ممثلي الوزارات المهمة ومكتب السياسات العنصرية للحزب النازي في مقر وزارة الخارجية ووفقًا لقانون العنصرية لمدينة نورنبرج بألا يعامل المسلمون والأتراك والفرس والعرب بوصفهم عرقًا مختلفًا، حيث كانت قوانين نقاء الدم في إسبانيا في العصور الوسطى -التي استلهمها النازيون- موجهة ضد اليهود والمسلمين على حد سواء.*

*1939: أعطى وزير الدعاية النازية جوزيف جوبلز توجيهات مفصلة للصحافة الألمانية بألا توجه أي إهانات للمسلمين.*

*نوفمبر 1939: المسجد الوحيد بألمانيا والكائن منذ 1925 بشارع فيلمرسدورف يفقد مديره. حيث عاد إمامه محمد عبد الله عند اندلاع الحرب إلى موطنه (الهند) حاملًا درجة الدكتوراة في الكيمياء من جامعة فريدريش فيلهيلم.*

*11 فبراير 1941: قوات ألمانية تحط على شواطئ طرابلس بليبيا حيث تثابر من هناك متجهة إلى القاهرة وبهذا يمكن لهتلر مساعدة إيطاليا؛ حيث تورطت قوات موسوليني Mussolinis منذ نهاية 1940 في الحرب ضد بريطانيا العظمي في شمال إفريقيا.*

*أبريل 1941: جندت القوات النازية في حملتها على البلقان مسلمي ألبانيا. تلا ذلك أيضًا استعمال الأسرى المسلمين من سجناء الحرب السوفييت.*

*6 نوفمبر 1941: ولّى مفتي القدس الأكبر أمين الحسيني هاربًا من البريطانيين إلى برلين. ومنذ إقامته كضيف شرف لدى الوحدة الوقائية (SS) قام بترويج الدعاية النازية بخطابات مستمرة ومتتالية في إذاعة برلين الخارجية. وكانت تبث خطاباته باللغة العربية والفارسية والتركية.*

*18 نوفمبر 1941: أوصى المبعوث الألماني السابق للقاهرة إبرهارد فون شتورار والذي كان يعمل حينئذ سفيرًا في مدريد في مذكرة تفاهم بوضع برنامج ألماني إسلامي شامل. وحفز تكوين لجنة لعلماء الإسلام تحت ريادة وزارة الخارجية.*

*13 يناير 1942: قامت القوات المسلحة النازية بإعداد كتيبة تركستان والقوقاز والتي كانت تتكون تقريبًا بأكملها من المسلمين. وأصبح من الممكن للأذريين وتتار فولجا والقرم Wolga- und Krimtataren وقوقازيي الشمال والبشكيريين والأوزبك وغيرهم أن يقوموا بالخدمة في كتائب الشرق.*

*20 يوليو 1942: أعطى أركان حرب وجنرال هتلر بإفريقيا إرفين روميل تعليماته لإحدى قوات الخدمة التي كانت تقع تحت ريادة قائد القوات الرئيسة للوحدة الوقائية فالتر راوف تصريحًا بقتل جميع اليهود المقيمين بفلسطين بعد الاحتلال المتوقع لها.*

*23 أغسطس 1942: بدء معركة "ستالينجراد" التي استمرت لشهور والتي أدت بخسائرها الهائلة للجيش النازي إلى تحول في مسار الحرب.*

*سبتمبر 1942: عبرت القوات الألمانية إلى حدود مصر. وخاطب راديو برلين في برنامجه العربي شعوب شمال إفريقيا: "اقتلوا اليهود قبل أن يقتلوكم"، "نحمد الله حمدًا كثيرًا أن مصر سوف تتطهر من تلك الزواحف السامة".*

*11 أكتوبر 1942: ألقى المفتي الأكبر بمناسبة عيد الفطر خطبة حماسية أمام 500 من الحضور في مسجد فيلمرسدورف.*

*نوفمبر 1942: بعد شهور من وصول القوات الألمانية إلى منطقة العلمين بمصر وقبل الوصول للقاهرة بمسافة 150 كيلومترًا قامت القوات البريطانية بمهاجمتها وردت الضربة لهم.*

*18 ديسمبر 1942: تم افتتاح المعهد الإسلامي المركزي بخطبة افتتاحية للمفتي الأكبر ببرلين.*

*10 فبراير 1943: سمح هيملر رئيس الوحدة الوقائية (SS) بإنشاء قائمة وحدة الأسلحة الخاصة بالوحدة الوقائية (SS) من مسلمي البلقان. فنشأت وحدة البوسنة المسماة „وحدة جبل الأسلحة الثالث عشر SS" والتي سميت "الخنجر".*

*1-11 أبريل 1943: بذل المفتي الأكبر قصارى جهده أثناء رحلته عبر البلقان لحشد المسلمين وجمعهم لوحدة الأسلحة النازية.*

*13 مايو 1943: استسلم آخر جزء من القوات الألمانية بشمال إفريقيا أمام البريطانيين في تونس.*

*1 مارس 1944: ألقى المفتي الأكبر خطابًا إذاعيًّا في برلين: "اقتلوا اليهود حيث وجدتموهم حبًّا في الله وفي التاريخ والدين". وبدأ جنود السلاح التركماني النازي التوافد لزيارة مسجد فيلمرسدورف.*

*21 أبريل 1944: افتتحت القوات المسلحة النازية مدرسة الإمامة في مدينة غوبن بألمانيا لتدريب أئمة في هذا المجال لتحريض المقاتلين المسلمين.*

*يونيو 1944: بدأت جامعة غوتينجن برنامجًا لتدريس مناهج الملّا والذي كان من دوره أن يرشد الأئمة المبتدئين نحو التفكير العقائدي.*

*16 نوفمبر 1944: تم إنشاء مدرسة ملّا خاصة بالوحدة الوقائية (SS) بأمر من رئيسها هيملر.*

*أبريل 1945: استخدمت القوات الألمانية منارة مسجد فيلهيلم في المرحلة النهائية للحرب حول برلين كمقر لمدفعية إطلاق النيران. وبذلك وقع المسجد تحت القصف المباشر. وقد تم العثور على 12 جنديًّا ألمانيًّا قتلى بحديقة المسجد فيما بعد. حيث تم دفنهم هناك في مقبرة جماعية.*

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

***(تمت بحمد الله وتوفيقه)***

∞ ∞ ∞ ∞ ∞


متميزون
للكتب النصية
E-Book

***Group Link – لينك الانضمام الى الجروب***

***Link – لينك القنـــــاة***

# الفهرس..